

لابي شجاع وليس لمسكويه

بقلم الدكتور علي جواد الطاهر



من شروط التخرج في دار المعلمين ببغداد ان يؤب الطالب «رسالتين» : واحدة في التربية وثانية في مادة التخصص . ويستعد الطلبة لذلك منذ السنة الثالثة استعدادا عاما . وكان «مسكويه» اول - وآخر - ما تبادر الى الذهن ، وقد دل عليه كتابه «تهذيب الاخلاق وتطهير الاعراق» .

وشرعت افرا عنه هنا وهناك ، مادة في دائرة المعارف الاسلامية ، وترجمة في «معجم الادباء» واقرا له «تهذيب الاخلاق» و «العز الأكبر» و «الفوز الاصغر» و «تجارب الامم» .

ان مسكويه حبيب اني النفس لا يلبث ان يصبح صديقا ، أسلوبه سهل يسير لا يتكلف فيه ويتصنع كما تفعل الكتلة الكثيرة من شباب عصرنا ، وهو يعرض المسائل الفلسفية عرضا واضحا لا يثقلها ما يتقل آثار الآخرين ، ولعله اديبا اكثر منه فيلسوفا ، أو أنه فيلسوف لا يتحدث الا بما يشمله جيدا ويصبح جزءا من وجوده . وفي «تجارب الامم» ذخيرة عن الامم وعن العصر اليومي . . وعن مسكويه نفسه ، وإذا ، فلا بد من ادامة النظر فيه ، وقراءته أكثر من مرة . .

واتجز «البحث» وقدم اواخر العام الدراسي ١٩٤٥ - ١٩٤٥ . وانتهت الخطوة الرسمية سلام .

ولم يكن مسكويه من ينتهي بانتهاء مرحلة ، لانه يبقى في النفس ، ويظل صاحبه يتتبع اخباره ، ويطلع كل ما مت اليه بصلة . . وكنا نقرا للدكتور زكي مبارك كثيرا ، لاننا نجد فيه طرافة وجراة ، اما احداؤه الطويل العريض فكانا نأخذ ما خلد الطرف ، وربما سمينا هذه الظاهرة المميزة «بالزكميريات» . . نحن نقول : الدكتور وهو يقول : الدكتور . . كان يغير بكل شيء ، ولكن اعتزازه بكتابه «النثر الفني في القرن الرابع» لا يعده له اعتزاز ، فهو يذكركه لمناسبة ولغير مناسبة ، ويتحدى به من يستحق التحدي ومن لا يستحق . ومع هذا - وربما لهذا - لم يرد على الذهن لدى كتابتي البحث عن «مسكويه» .

ولكن ، ما لا يدرك في حيته ، يمكن ان يستدرك بعد حين ، وهكذا كان ، ولتقرا «النثر الفني في القرن الرابع» :

الكتاب - في الامل - الرسالة التي نال بها الدكتوراه من باريس سنة ١٩٣١ لم تقله الى العربية

وطبعه بالقاهرة عام ١٩٣٤ لم اعاد طبعه بها عام ١٩٥٧ . ولتقرا ما جاء فيه من مسكويه (١) ، وهو يتحدث عن «السجع والادواج» يقول (١) :

«وليتبين الفارسي الفرق بين كاتب يتأنق كالكوتبي وكاتب يتربل كابن مسكويه نعرض نموذجاً مما قصه صاحب تجارب الامم عن ابي نصر كاتب عهد الدولة اذ قال :

كان بالقصر جماعة من الفلمان تحمّل اليهم مشاهراتهم من الخزانة بالحضرة ، فلما كان في آخر شهر قد بقي منه ثلاثة ايام استعمانى وقال لي : تقدم الى الخازن في بيت المال بان يزن كذا وكذا الف درهم ويسلمها الى ابي عبد الله بن سمدان ليحمله الى قليب الفلمان . فقلت : السمع والطاعة . فانسيت ذلك وسألني عنه بعد اربعة ايام ، فاعتذرت بالنسيان فخاضني بافظل خطاب ، فقلت اسن كان استهلال الشهر ، والساعة تحمل المدة ، وما ههنا ما يوجب شغل القلب بهذا الامر ، فقال : المسببة بما لا تعلم ما في فطك من اللفظ اكثر منها فيما استعملته من التفریط : الا تعلم انا اذا اطلقنا لهؤلاء الفلمان ما لديهم وقد بقي في الشهر يسوم كان الفضل لنا عليهم ، واذا انقضى الشهر واستعمل الآخر حضروا عند عارضهم فاذكروه فيعدهم ، ثم يحضرونه في اليوم الثاني فيعتذر اليهم ، ثم في الثالث فتسيطر قسبي اقتضائه ومطالبته السنتهم فتضيق المنة وتحصل الجراة ، وتكون الى الخسارة اقرب منا الى الربح» .

ويذكر الدكتور زكي مبارك في هامش الصفحة مصدره الذي استقى منه هذا النص : تجارب الامم ج ٣ ص ٤٤ . وكنت حديث عهد بتجارب الامم كما ذكرت اني قرات فيه مثل هذا الخبر . ولا بأس ، فلنقرا ما يقوله الدكتور زكي مبارك :

« . . ولكن هذا اليسر في رواية الخبر لم يمنع ابي مسكويه من التأنق في التعليق عليه اذ قال : «ولعل عضد الدولة نظر في هذا الوقت الى ما وجد في سيرة المعتصم رضوان الله عليه . وهل ينكر لبني هاشم ان يقتدى باقوالهم او يهتدى بافعالهم ، وهم الاسدقون اقوالا والاكرومون افعالا والاشرفون انسابا ، جبال العلوم ، وجرسان العلوم ، واصنام الهدى ، وساسة الدين والدنيا ، الى مكارمهم ينتهي الكرم ، وبمآثرهم تتجلى الظلم ، المعتصم بينهم المعتصم» .

اشهد اني لم اقرا لمسكويه مثل هذا ، وليس من داع لمسكويه لان يصل عضد الدولة بسيرة خلفاء بني العباس ، ولا من داع لان يتعلق هؤلاء الخلفاء وهو الذي يعيش في ظل بني بويه ، بل في ظل عضد الدولة البويهي وكسان الخليفة العباسي ذليلا مهانا . لا بد من ان يكون في الامر سر ! ولنرجع الى المصدر نفسه ، ورجعنا قريبا ان النص الذي استشهد به الدكتور زكي مبارك على انه لمسكويه «التوفي سنة ٤٢١» في كتابه تجارب الامم ، ليس

دعوة

لا تستحي ، يا عين ، من دعوة
اما استباحث سرها في الخفاء
لا تمنعها ، فهي في عجزها
قد تهب المحروم بعض الغراء

حطب علي الناصر

لا المقهور .

ويذكر الدكتور زكي مبارك في هامش الصفحة من كتابه مصدر النص : تجارب الامم ص ١٨٨ .
وبماكاننا ان تجد الخطأ في هذه النسبة بالرجوع
الى المصدر فتراه ان انشاء اي شجاع في ذيل تجارب
الامم فهو كامل على الصفحة ١٨٨ منه .

ومما يذكر ان الدكتور زكي مبارك عندما يذكر
مراجع مؤلفه في آخر الجزء الثاني منه لا يورد « ذيل
تجارب الامم لابي شجاع » ، وانه اذ يورد لتجارب الامم
يقول : « طبعة مرجوليون » وقد رأينا انه رجع الى طبعة
هـ . فـ . آمبروز .

ان الذي وقع للدكتور زكي مبارك قد وقع ، وقد
يتبع لغيره . « وقد مضى على ملاحظتي للسوء الحاصل
اكثر من عشرين عاما لم اتحدث عنه خلافا ، ولم ادعها ،
ولم لي لو كتبها ايام كان الدكتور زكي مبارك حيا لاقتنع
بها وغير من كتابه ما تغير في طبعته الثانية .

لقد طويت الملاحظة كأنها لم تكن ولا ادري سرا لذلك .
اما اليوم فقد رايت واجبا تسجيلها ، فقد قرأت
ان القاهرة تعتزم إعادة طبع « النثر الفني في القرن
الرابع » اكراما للذكرى الدكتور زكي مبارك ، فوددت ان
يتبته القائلون على المشروع الى مثل هذه الملاحظة ، والى
ملاحظات اخرى ، بمعنى ان يول الكتاب الى استاذ
ما فات المحروم مبارك وما جد من دراسة وتحقيق بعده .
ان مثل هذه الملاحظات تخدم الحقيقة ، وتخدم
القارئ ، وتزيد على قيمة الكتاب قيمة . واخشي ما
يخشى ان يعاد الطبع بالتصوير (الافست) . لقد
دخل « النثر الفني » في دائرة « روائع » البحث الحديث
ولم يكن الدكتور زكي مبارك مبالغا كثيرا اذ قال : « ان
هذا الكتاب أول كتاب من نوعه في اللغة العربية ، او هو
— على الأقل — أول كتاب صنف من النثر الفني في القرن
الرابع ، فهو بذلك أول منارة اقيمت لهداية السارين في
غيايات ذلك العهد السحيق » .

لمسكويه . وانما هو للوزير ابي شجاع محمد بن الحسين
الملك طاهر الدين الروادوري المتوفي سنة ٤٤٨ هـ . لاننا
نعلم ان المطبوع بتصحيح هـ . ف آمبروز . القاهرة ،
مطبعة شركة المدن الصناعية جزان : الاول (وهو
الخامس من الاصل الذي نشره ليون كابتاني مصورا)
عام ١٣٢٢ — ١٩١٤ ، والثاني (وهو الجزء السادس من
الاصل) عام ١٣٢٢ — ١٩١٥ . وينتهي بحوادث من سنة
٣٦٩ وهو « آخر ما عمله الاستاذ ابو علي احمد بن محمد
بن يعقوب مسكويه » .

اما ما سماه الدكتور زكي مبارك بالجزء الثالث فهو
ليس جزءا ثالثا من تجارب الامم ، وانما هو — كما مبين
على الغلاف — ذيل تجارب الامم للوزير ابي شجاع . من
سنة ٣٦٩ الى ٣٨٩ ، وان الصفحة ٤٥ التي اقتبس
عنها نصه هي الصفحة ٤٥ من كتاب ابي شجاع وتقع
حوادثها عام ٣٧٢ ولم يبلغ مسكويه في كتابة تاريخه
هذا العام . والمسألة واضحة ، فما علينا الا ان نفتح
ص ٤٥ من « ذيل تجارب الامم » حتى نرى النص كاملا :
« كان بالقصر جملة من الغلمان تحمل اليهم مشاهرتهم . .
وتكون الى الخلصة اقرب منا الى الربح » ونرى « ولعل
عبد الدولة نظر في هذا الوقت الى ما وجد في سيرة
المتعمس . . »

وهذا التعليق اصبح ممكن التفسير مسوره . فلابي
شجاع كثير من الدواهي التي تدفعه الى انشاء عيسى
خلفاء بني العباس ، ويكفي اسمه كان وزيرهم « ذيل
للمنتدبي بالله سنة ٣٧٦ » في العهد السكجوي ، ولا بد
من انه قال ما قال قبل ان يصور « ذيل » عن الوزارة
ويلزم « بالقيود في داره » .

ولنعلم ان « النثر الفني » لنسجم الدكتور زكي
مبارك بقول (٢) : « ويمكن المضي في استعراض
الفصول الجيدة مما كتب ابن مسكويه في التاريخ فهو
يسرد الاخبار في سر ملموس ثم يعقب عليها بتأني مقبول
وانظر قوله في خواص الملوك :

« ومن حسن سياسة الملوك ان يجعلوا خاصتهم كل
مهلل بالاعمال ، محمود الخصال ، موصوفا بالخير والعقل
معروفا بالصلاح والمعدل ، فان الملك لا تخاطله العامة ولا
اكثر الجند ، وانما يرون خواصه : فان كانت طرائقهم
سديدة ، وافعالهم رشيدة ، عظمت هبة الملك في نفس
من يبعد عنه ، لاستقامة طريقة من يقرب منه . . . واذا
كان خواص الملك ممن يقدح فيهم ، وتذكر مساوئهم ، قلت
الهبة في النفوس ، فاطهر الجند استقلالا لامره . ثم
صار الاضمحلال نجوى بينهم ، ثم زادت الحيرة فصار
التجوى اعلانا ، فعند ذلك تفسح المجاهرة ، وترتفع
الراقية ، ويتحكمون عليه تحكم الامر لا المأمور ، والقاهر

(١) هو ابو علي احمد بن محمد يرد على « مسكويه » وعلى « ابن
مسكويه » ، وقد يكون الاول اصح . (٢) الجزء الاول ، ط ٢ (م . المعادة
بمصر ١٣٧٦ — ١٩٥٧) ص ١٢٤ . (٣) ج ١ ص ١٢٤ .



الدكتور محمد رجب البيومي

كيف يؤلفون الكتب

بقلم الدكتور محمد رجب البيومي

الكتاب يدور حول موضوع جديد لم تسبق معالجته ، او عولج من زاوية غير الزاوية التي ينتهجها المؤلف الجديد ! اما اذا كان الكتاب تكراراً لما سبق ان كثر الخوض نسي موضوعه فانك في جميع صفحاته لن تعثر على شيء لا تعلمه !! وموضع الخطر في ذلك - لدى الاستاذ الخولي ومن ينحو منحاه في الحرص على مستوى التأليف - ان المؤلف من هذا الطراز لا يفتأ يتابع مؤلفاته النافذة دون سأم ، وسيقرؤها الناشئة على انها نماذج جيدة للتأليف ، اذ ان الصفحة الاخيرة من الكتاب من غلاف الكتاب تحمل فهرساً باسماء المؤلفات السابقة للكاتب ، فتلقي في خواطر الناشئة ان الرجل كاتب كبير وانه انموذج يحتذى ، وهو بعد لا شيء ، فاذا صار صاحب الفهرس الضخم مسن المؤلفات نموذجاً يحتذى ، وذاع له بين القراء صيت مدو ، ووجد بين مقرضي الكتب في الصحف ، وكاتبى المقدمات الكاذبة في صدور مؤلفاته من شيد بعمله ، وبشيء على موهبته ! اذا صار صاحبنا كذلك فقد انتقلت عدواه الى ابواب الادب والعلم ، وهبط بمستوى التأليف الى قرار سحيق .

ونحن اذ يطول بنا العجب العجائب لهذا التكاثر النهم على التأليف دون موضوع ودون كاتب حتى اصبح لدينا من يجاهر بان مؤلفاته قد جاوزت الثلاثين والاربعين من الكتب ، متخذاً ذلك مجال فخره وموضع تعاليه انمسا تشير الى القياس المضطرب الذي يزعم به الكاتب الدمي نفسه بين الكتاب والى النظرة الساذجة عند عامة القراء تلك التي تجعل الحكم المدي في التأليف مجال التقدير وموضع الرجحان لدى المقارنة بين المؤلفين ! وقد نسوا ان ما خطه الكاتب المسكين في جميع مؤلفاته سراب بقيمه يحسبه الظمان ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئاً ! انهم نسوا ذلك لانهم يجهلون حقيقته فقد لعل امامهم السراب في الصحراء فجزموا انه ماء !

ونحن نعرف ان الكم المدي في التأليف كما يدل على الفزارة والعمق ، والتمكن من البيان وجودة القرينة وقوة الاستعداد وكمال الموهبة عند الخاصة من الباحثين ذوي الصبر الدائب ، والفحص الجرج - وما اقل هؤلاء في كل مكان - فانه يدل على الخواء والتخبط والسطو المتع ، والفتاة الركبة لدى العامة من حاطبي البلب نسي التأليف ، وتستطيع ان تذكر ادباء موموقين تستمن الاديب منهم مجده العلمي بكتاب دسم واحد ، افرغ فيه جهد الحرص ، وصبر على مشاق البحث ومعاناة النظر حتى وصل الى نتائج جيدة لغرض آليه ، وتقرن به ، وهو بعد صاحب كتاب واحد ، لا تخمين كتاباً ، كما تعلم من متابعة الحركة الثقافية في كل عصر ان مؤلفاً واحداً يثر من الضجة والنقد عاصفة تمتد سنوات وسنوات وتعقب كتباً كثيرة في مجال النقد والمتحجس ما بين مؤيد ومعارض ، ولست ارى في هذه الضجة الحادثة مثلاً

كان من رأي اديبنا الكبير الاستاذ امين الخولي رحمه الله ان توجد رقابة ادبية علمية على المؤلفات التي يخرجها الكتاب ، بمعنى ان تؤلف لجنة مسن كبار الاساتذة المتخصصين لفحص الانتاج العلمي والادبي قبل ان يظهر للناس ، فاذا رأت به ما يستحق النشر لفائدته الجديدة اقرته واذنت بإذاعته ، واذا كان مجرد تكرار لما سبق ، دون اضافة حقيقية لتفاسيد العلم والادب فالاولى به ان يريح الناس مسن وجوده ! ولكن اسم الرقابة قليل ، يفيض ، وهو في مجال التأليف العلمي اشد نقلاً واكثراً نقصاً لانه يؤذن في بعض دلالته بتقييد حرية الفكر ، وقد تنقلب الرقابة الى هيئة متحكمة غاشمة تمنع الجيبد والردى معاً لبعض الاغراض التي تسيطر على البشر فلا يكاد ينجو منها الا من شد ونذر ! لذلك كان اقتراح الاستاذ الخولي رحمه الله وقد جهر به في بعض ندوات الهلال بعيداً عن التنفيذ .

ولنا ان نحل الباهت الملح الذي دفع اديبائنا قادتنا الموجهين كلاستاد الخولي الى مثل هذا الاقتراح ، لتلمسه واضحا في اكثر ما تنشره المطابع اليوم من مؤلفات ، فقد داب اناس على التأليف المتنازع لا شيء سوى انهم يجدون الناشر ! او يملكون نفقات الطباعة فاذا بحثتما يكتبون فانك ترى غرائب من الفهم وعجائب من التفكير تصبح مجال التندر والتحكيم لا موضع الافادة والتعليم ، هذا اذا كان

حيطة ، ودرس مواده في صبر تعدد خبرات السنين الطوال .. ومضى الى ربه دون ان يرى كتابه الفياء ! ولو أقدم على طبعه لثالث طبعاته وكان احد المراجع الهامة بالجامعات العربية ، ولجنس من ورائه جهرة الصيت ووفرة الثراء !

هذا مثل نذكره في التحرج العلمي ، وتقدير النبعة القياسية للتأليف ، وليس العبادي فريدا في ذلك بل ان الصفوة من الاسلاء المعرفين يشاركونه تقدير النبعة وشدة التحرج ، فلا يخرجون الا ما وتقوا بكماله وثوقا لا يتطرق اليه فتيل من الشك عاين ان من الف قد استهدف ، ولست ادعو الى الاستعناع عن مواصلة التأليف كما قد يتبع في بعض الافهام ولكني ادعو الى التنكح والروسخ تسم الحيلة والحذر قبل المباشرة بفرارة الاناج والتدح التأليف ، وربما سالت ! كيف يكون الكاتب خواء الذهن ناضب القريبة ، قليل الاطلاع ، ريك الاسلوب ضريس الاستنباط ثم يصدر مؤلفاته تباعا كما يتقاطر الفيت الهتون ! ولك الحق ان تسال ؟ وواجبي ان اجيب في صراحة واضحة فاضحة قاقول : ان هذا النفر من الادبياء لا يستطيع ان ينهض بموضوع جديد على الاطلاق ، فهو حين تستولي عليه حمى التأليف ملهبة احاسيسه بسياط لا تفعل ، انما يتجه الى الفهارس العامة ، فاذا كان ممن يذوق المشاركة في الدراسات الادبية مثلا فانه يستنجد بالفهرس المكتبية ليتبع على موضوع كثر القول فيه وتعددت المؤلفات عنه فها مجال امطياذه ، وموضوع حديثه ، ونفرض انه اختار الجاحظ مثلا لم تنصور ماذا يضع ؟ انه يمد يده الى اول كتاب يجده عن صاحبه ، وليكن كتاب الاستاذ حسن السنديوي وهو اول معاصر تحدثت عن الجاحظ في كتاب خاص فيما نعلم فيتصفح الكتاب ويتف امام صحيفة المراجع التي دونها السنديوي وأشار اليها فيلم بها ويستعير ما امكن استعارته من كتبها في دور الكتب ثم يقرأ في الفهارس ان زيادا وعمرا وبكرا وخالدا معا لا ترى داعيا لتسطير اسمائهم قد اسدروا مؤلفات حديثة عن الجاحظ ، فيخف لطيفه ويجمع كل ما يستطيع ان يجمعه ، وفي كل كتاب كتبه هؤلاء عن الجاحظ سجل من المراجع يرشد صاحبنا الى الجديد تحسنى اذا استكمل استيعاب ما عثر عليه من المكتبة الجاحظية ، قرا ما قرا في عجلة لوضع الفهرس التقليدي للكتاب على نحو مدرسي لا يكاد يخرج عن الحديث عن عصر الجاحظ ونشاته ويبيته وعمن اتصل بهم من الخلفاء والرؤساء وعن مذهبه الكلامي ومؤلفاته واسلوبه ! ثم يملأ كل موضوع بما تنثر في الكتب المعاصرة وحدها محاولا خديعة القارئ اذ يوهمه اطلاعه على بعض المصادر القديمة بترداد اسمائها ، وهو في واقع امره ناقل ردى عن ناقل مجيد!! فقل لي بريك الا يستطيع دعوى من هذا الطراز ان يكتب

يقصد ، او امنية ترجى ! وانما اثبتت دويها عن ضرورة ملازمة احداثها جدة الآراء ، وصعوبة متزعاها ، وقسوة احتياجها وفي ذلك ما يدل كل الدلالة على تمكن المؤلف من موضوعه واستعداده لسه ، وحشد جميع الطاقات الممكنة لديه في انمامه ونضوجه ! وهذا وحده ما ينبغي لكل مؤلف جاد ان يلتزمه ، واذا كان في هذه الآراء الجديدة ما ينقد ويخلل فنكك طبيعة الانشاء ، فلم لايتأمل المكترون ذلك ليعلموا ان البفكث كثير العدد دون جسدوى وام الصغر مقلل ثدور .

ونحن مع ما تشهد من تكالب الادبياء على التأليف المتواصل دون اعياء ، تشهد مع ذلك تقديرا للنبعة وعزوقا عن الضحيح صاحب لدى بعض الاسلاء من المؤلفين ، ممن يقدرون مكانة التأليف ، ويعرفون ان الكتاب الجديد لا بد ان يحمل اشياء جديدة ذات بال ! لذلك نرى فريقا من نايمي المفكرين لدينا لم يجروا على متابعة التأليف وهم بعد اسئلة المادة ، واصحاب القيادة العلمية فيسي بيئانهم الثقافية ، كل في دائرة اختصاصه ! بل ان فيهم من عكف السنوات الطويلة على تأليف كتاب دقيق المنهج جديد المنزع ، قوي النتائج لم يسمح لنفسه ان يلد كتابه واذا دون ان يخرجها للناس مع ما تحمل فيه من معاناة البحث ، وقد التامل ، وسد الثغرات ، وتلمس الصوى في بيءاء مجهل يفضل بها الدليل :

حدثني استاذي الكبير احمد عبد الرحمن الزيات ان المغفور له الاستاذ عبد الحميد العبادي قد كتب كتابا تاريخيا يصور حوادث الصدر الاول من تاريخ الاسلام من الناحية السياسية ، كما فعل الاستاذ احمد امين في تصوير هذا العصر من الناحية العقلية في كتاب فجر الاسلام وكان العبادي واحدا من وطه حسين قد اتفقوا على اصدار موسوعة ثقافية كل في نوع اختصاصه ، فثابر احمد امين حتى اسدر الفجر والظفر والقصي في ثمانية اجزاء ، وتنوعت اعمال الدكتور طه فصرته عن مشروعه ! اما الاستاذ العبادي فقد اسدر الجزء الاول من كتابه في ستمائة صفحة تنطق بالمعانة المريرة والجهد الشاق ثم قراه على نفر من اصداقائه كان من بينهم الاستاذ احمد حسن الزيات فغدوه مثالا جيدا للتأليف التاريخي ، ولكن العبادي تردد في نشره ، وحدثني الاستاذ الزيات انه استخس على طبعه استحضانا ملحا فلم يستجب ، وواد كتابه العزيز واذا ، لانه لم يبلغ المستوى المثالي السدي يريده !!

فهذا مؤرخ جامعي معيد حاضر بالكليات العالية اكثر من اربعين عاما في دقات التاريخ الاسلامي ، وراى من تلاميذه وتلاميذ تلاميذه من يملئون المكتبة التاريخية باباحتهم ! ثم اثر مع هذه الاستاذية الجديرة بالرفع التريث في نشر مؤلف ضخم عالجه في تمكن وخطه في

سجرة الحور

ربية الماء عبي تونسر الماء
فمن كؤوسك يا حوراء صهياني
بنت النعيم السذي اولاد بردته
بيضاء ترفل في وشي وللاء
ميسي بقاتك الهيفاء سامقة
وعاتقي الشمس في صبح وامساء
فانت اول من يشتار مبسمها
والنخل لما تقف من حلم عذراء
فما أحبك والإطيار هارجة
على فصولك في دل واغراء
والبدرب فيض من الأشعاع منهصر
وقد تاتر في طبل وانساء
أشهى لشارك عاشاش مكورة
كانها خلق في جيد حساء

وديع ذيب

ماشي صفحة من مثل الجاحظ ! والمراجع مبدعة ، والتوبيخ مريح ، والإبتكار فريد ، والسطو واضح ، ومن وراء ذلك طبع فاخر ، وورق لامع ، ومقدمة يستجديها من كتاب جهير لسبب لا ندرية .
هذه هي طريقة التأليف النشيطة كما يعرفها هؤلاء ، وقد يتناول احدهم فلا يكتفي بالتأليف في مجال قراءاته ومراجعاته بل يقفز الى مجال آخر يبنى من حقله المهود ، وأنا اعرف كتابا ما ادعى الكتابة الادبية على طريقتيه المعروفة ، فأخذ يصدر كتبه المتواليه عما يزعمه من قضايا الشعر والنثر ثم شاء ان يقفز فجأة الى تفسير القرآن الكريم فيجعل يصدر الجزء وراء الجزء ، وفي المكتبة القرآنية مئات التفاسير ما بين قديمة وحديثة ، ولا بد لمن يشرب الى كتابة تفسير جديد ، ان يفتح الله عليه بما ابرزه الزمن المعاصر من فهم جديد لبعض قضايا الفقه والتشريع والاخلاق كما تحدث عنها القرآن الكريم ، لتظهر عظمة كتاب خالد يفيض على الاجيال المتعاقبة من نوره كل صباح ما يفيضه الشمس على الفياض كل يوم ! فبعادنا فتح الله على هذا العلامة الجديد ! لقد قرأت الجزء الاول من تفسيره ، وأنا اعلم سلفا انه تقول مسطرة عن السابقين ، وكنت اصور انه قرا أمثال الطبري والسيبوري والزمخشري والفخر الرازي .. أمثال رشيد رضا وطلطاوي جوهرى وفريد وجدي ثم تابع التلخيص ، ولكن الكارثة حارة اذ اقتصر صاحبنا على تفسير الألوسي وحده المسمى بروح المعاني ، وأخذ يعالج النقل البتور بتصرف يضر أكثر مما ينفع ! وإذا كنا نعلم

ان الألوسي رحمه الله قد قدم في تفسيره الكبير خلاصة لأكثر أقوال السابقين مشقوقة برأيه فان صاحبنا زعم في مقدمته انه قرأ أقوال السابقين أيضا وقدم خلاصة لها ! ليخضع السليج بأنه عانى معاناة الصابر الدوب ! ولكن المقارنة بين تفسيره وتفسير الألوسي تجعلنا نتساءل عن الأمانة العلمية أين تكون ، اذا لم تكن لدى مفسر القرآن الكريم !

ولنا ان نقف قليلا عند من يشجع هؤلاء على الكثرة الكثيرة من الإجهاض الكتابي الشائه ، فنعلم انه الناصر ! والناصر وحده هو الذي يفتن في التوزيع والنشر افتنانا صار به تاجرا كبيرا ذا ثراء وجاه ! حين مد اخطبوطه المحكم الى جهات كثيرة ، فهو يتقدم بخدماته الى لجان فحص الكتب في وزارة التربية والتعليم ليعان استعداده لطبع مؤلفات ذوي الكلمة المسموعة من حضراتهم مقدما من الاجر ما يقطع ! ثم يلقي اليهم قوائم غبارسه لتكون موضع عطفهم ، وقد أسرهم بمعرفة ، فيسارعون الى اختيار كميات وافرة من مطبوعاته تخزن خزنا في مكاتب المدارس الثانوية والاعدادية والتجارية والصناعية والزراعية ودور المعلمين والمعلمات يشتتى محافظات الجمهورية ، ثم لا يقتصر على ذلك بل يلقي حباله السي اساتذة الجامعات في شتى الكليات المختلفة ، مرحبا بطبع محاضراتهم لقاء اجر مفتح لم تمتصا النظر الى قائمة مطبوعاته ليلما يختارونه لمكتبات الكليات بالجامعة ، فيرى التشجيع والأقبال ، ولا ينسى ان يوفق علاقاته بالقائمين على توزيع الصحف اليومية والمجلات ، فيضع كتبه الجديدة في ورق السالفان الموحد ، ويقوم بأثو الجرائد في كل مكان يعرضها مع الصحف اليومية ، وكثير من قراء هذه الصحف يسألون البائع عما لديه ليختاروه بل يظهره لا بمخبره ، اذ ليسوا ممن يقرءون للاستفادة بل ممن يتباهون بالثراء ، وتجيب المنزل بالحدثن من المؤلفات ! فالكتاب لدى هؤلاء لا يزيد عن قلم أو طبق أو كرسي يجد مكانه المد في المنزل وان لم يكن ميعاد استعماله واذا كنت تعرف ان كل شارع لا يخلو من بائع صحف ! فانت تعرف ان اتساع منافذ العرض على هذا النحو مما يحتم ان تصيد الكتاب مئات الافراد ممن يعززون بالورق المطبوع دون ارتقاء الى ما سواه ! وبذلك يرجع الناشر بخيره الجزيل فيلتي بيعه الى صاحبه الذي تها في تسوة التوزيع الى اصدار كتاب جديد .
هذه خواطر متناثرة اسودها كما توالى على النفس حين حملت القلم للكتابة ! وقد وقفت في هذه الجلسة القصيرة لدى هذا الحد القنص حين كل الدهن ومسا اكثر ما يدركه الكلال ، وأنا اعلم جيدا ان الموضوع لم ينته بعد ، فله معقبات وذبول ، ولا بد من العودة اليه في مقال آخر اذا أتيح الصفاء !



نوديع لرئيف غوري

نفديك لو نستطيع رد الفوائيل
ومؤتمر الآداب عز الموائيل
هدية لبنان الجيب المواصل
فأثرت بأبجاز الطريق لراحل
تدافع فيها الخصم دفع المقاتل
تلافي بهذا الحب عذل العواذل
لتبكي نبوغ المبقرى المناصـل
تصوغ له الاقدار سوء الشـمائل
لظهان يروى بالسراب المخائل
يدهر أبي التخليد الا لكامل
أراك وما وجدي عليك بزائل
تهادت له الاحلام في ثوب أمل
فالقي الصدى قد عاد في لفظ سائل
بالأمانا والحرب ماجت بمائل
سألنا وهل يخفى لديك بمائل
محياك خلف الفيب في بين عاجل
وذي ادب او فيلسوف مساجيل
تخالط قلبيا باليقين المـزائل
تظل على لبنان نعمة ناهل
لقد كان فيها الفصن زهو الخـمائل
أمن بعدها يصفو هديل العنـائل
يذكرى توافي بالضحى والاـصائل

رئيف أيا زين النهي والفضائل
الذكرى اذ صمت بلودان عهدنا
فكنت على الشام العروبة والحـجـي
اسافرت والدنيا مطية راكب
وبالاس وافينا اللقاء بشدة
ولا خصم في الآداب والفكر انما
ايكفيك دمع الحزن منا وانـشـا
لقد عشت من خبز اليراع ويؤسنا
وما مكسب الافلام الا زهـادـة
فيا كاتبـا ما كان الا تـفـكـة
أرب البيان العذب ، ودعت قلبـا
اهذي خواتيم الاديب وظالمـا
واسأل نفسي ما الحياة وما الفـنا
تاوب حزني واليالي ملحـة
اذا القمر ازدان النجى بضيالـه
نعم يا شقيق الفكر ، يخفى كما بدا
ستأنس في أوج النعم بشاعـر
لعل هناك العقل اوعى لكـفـرة
فيا سيرة الآداب في حلو شـرـة
ويا زهرة نفع المـبـاـفـر طيـبـا
ويا نعمة ربا الحنان بمـاـفـز
عليك سلام الله في ذروة الدنـى

زكي المحاسني

دمشق

وديع عقل احمد الحارثي في لبنان

بقلم محمد جميل بيه

في

مطلع هذا القرن تاهبت مدينة بيروت ، وقد كانت في العهد العثماني قاعدة ولاية تحمل اسمها بالاشتراك مع مصرقية لبنان المتأخرة ، لأن لدعي بحق ذرة تاج آل عثمان . ذلك لان تطورها التجاري والثقافي المطرد بالإضافة الى تجدها باقتباس التمدن الحديث سمحا للامبراطور غليوم الثاني بأن يطلق عليها هذا الوصف عندما زارها مع زوجته في آخر القرن الفائت .

ففي تلك الحقبة من الزمن بدأ ازدهار بيروت ولبنان عمرانيا ومدنيا ، واتسع نطاق تجارتها اتساع مدى انتشار العلم والادب فيها . وظهرت فيها وفي جبال لبنان نخبة من سكانها كانوا بمثابة الرعيل الثاني للبيت الثقافي العربي الجديد على انهم كانوا يمتازون على الرعيل الاول بالتجديد وبالمسحة الغربية التي أصبحت بارزة في اديهم . وكان بين هؤلاء الرواد المحرم وديع عقل الذي لم يكن اديبا وشاعرا فحسب ، وانما كان صحافيا وسياسيا في نفس الوقت . وفضلا عن انه انتخب من رعين نقاب للصحافة فقد رأس الجمع العلمي اللبناني ، وانتخب سنة ١٩٣٤ نائبا عن جبل لبنان وتكريما للذكاء اقامت نخبة من عارفي فضل حفلة في قاعة محاضرات وزارة التربية ببيروت وذلك في ٢٩ أكتوبر ١٩٦٧ دعي للكلام فيها الأستاذ جورج أبو سعدني عن اللجنة ، ورياض طه عن الصحافة ، والشيخ عبد الله العلابي والشاعر بولس سلامة ، ووسيم تقي الدين ، والشاعر فوزي سايا ، والشاعر اسعد سايا ، والمؤرخ محمد جميل بيه ، وفاضل سعيد عقل عن آل المحتفي به .

وقد اتبع للاستاذ بيهم الذي خلف الفقيد عيسى رئاسة الجمع العلمي اللبناني عام ١٩٣٠ ان يصوره بريشة عارف خبير لانه عاصره ورافقه في ذلك الجمع رئيسا وممنوا .

في صدر هذا القرن كان وديع عقل في عداد الذين ادركوا ذروة الشهرة من اللبنانيين . بيد ان الشهرة ليست في الواقع صالحة لان تكون المقياس لتقدير قيم الناس . ورب امرئ احزرها كاملة ، وهو لا يستحقها ، وآخر حالت الظروف دون ادراك حقه فيها ، وهو اجدر بها من سواء . واما الذي يقدر القيم على حقيقتها فهمي

العاملة التي جاء في الحديث عنها : « الدين العاملة » . وبالعامة يبدو الناس على فريقين : فريق اذا تعرف اليهم رايتهم يملأون القلب والعين احتراماً ، ولكنك اذا ما خالطتهم ، وسيرت غور نفوسهم لم تلبث ان تشعر بانكماش ظل احترامك لهم تدريجيا حتى لا يبقى له اثر ، وفريق آخر يزداد إعجابك بهم كلما ازدادت إختيارا لهم .

ولقد اتحت لي الفرصة للتعرف الى صاحب « الراصد » تعارفا كاملا ، وذلك ابان ما كان رئيسا للجمع العلمي اللبناني ، ثم في غفون ما كان هو والشيخ إبراهيم المنذر معاونين للرئاسة منسند ١٨ تشرين الاول (أكتوبر) سنة ١٩٢٩ . وفي المدين ادرت ان هذا الاديب الكبير كان من اولئك الافئذ الذين كلما طال امسك تعاملك معهم تضاعف احترامك لاخلاقهم ، وتقديرك لخواصهم .

كنت قبل هذه المصاحبة اكن للوديع العاقل جزيل الاحترام على اعتباره اثة شاعر مجيد ، وكاتب قدس ، ولكني ما ان تعاونت معه في الجمع العلمي حتى ادرت ان بر شهرته ما يكن مجرد ادبه ، وان انتخابه رئيسا لتلك المؤسسة التي كانت تمثل وجه لبنان الثقافي لم يكن لعلفه وفضله فحسب وانما تعود لكفاهات اخرى كان يتحلى بها . بل ادرت ايضا ان هذا الرئيس الشاعر الناثرب والمجاهر والمثالي كان من الذين يرادون في عينك اجلالا كلما ادرت بهم اخلاطا .

كان المحرم لا يبالي بالمظاهر بقدر ما كان يتعصب للقيم الروحية ، فاذا رايت في بساطة زيه ، ووداعسة اخلاقه ، وتواضع نفسه ، وذلك على غير تعارف سابق ، وقيل لك ان محدثك هو محرر الوطن ، وصاحب الراصد وهو ناظم تلك الروائع الشعرية ، وكاتب تلك البدائع الثرية تكاد لا تصدق الخبر وذلك بأنه كان على الرغم من دعوته الى التطور والتجدد ، ومن منادائه الى التحضر والتقدم كان شديد الحرص على المستحسن من التقاليد القوية ، وبساطة الطابع اللبناني الاصيل ، شأنه في ذلك شأن ثلة من مشاهير معاصريه . منهم داود بركات محرر جريدة الاهرام التي كانت عميدة الصحف العربية ، والشيخ يوسف الخازن النائب اللبناني الجريء . ورشيد تخله ناظم النشيد اللبناني . وهو في ذلك كان مصريا متطورا ، ولكنه كان في نفس الوقت لبنانيا محافظا يتحلى بالمناقب التي هي من مفاخر لبنان وسائر بلاد العرب .

واني سأترك لسواي من الخطباء الكرام التحدث عن ادبه وفضله لانتاول ناحية اخرى من سيرته اتبع لي ان اذكرها بنفسى خلال مصاحبتي له . واعتني بها رجحان عقله على عواطفه ، واعتدال مسلكه واتزانه في حياته الاجتماعية .

كان وديع عقل لبنانيا متعصبا لوطنه يدافع عنه

صفحة عمري

**قالوا : كبرت .. وهذا الشيب يضطرم
فسي ذروة السراس .. والإيام تنتظم
فقلت : لا غرو اما العصر كلنسي
وما ترون بياضا انه قسم
صنين لولا تلوج الكبر تحرسه
ما كان زهوا لنور الشمس يتسهم
بباض قلبسي على فسودي منتشر
وتلك « صفحة عمري » .. كلها شمم**

عبدو مسوح

حمص

مقام الصدارة ، ولكنها كانت مع ذلك كمجلة ادبية يلقى فيها أهل الأدب ، وطلاب المدارس شائتهم المنشودة . ذلك بان صاحبها وان التي نفسه في احضان السياسة الا ان نزعتها الادبية ظلت بارزة اكثر من اي نزعة اخرى .

وهذا لابد لي من الاشارة الى ان جريدة الراصد كانت ايضا سبعة سنائية : ففي ذلك الحديث اليومي الرقيق الذي كان عنوانه « بنات حواء » كان المحرر ينتقل من زهرة الى زهرة : من الحب الى الجمال ، ومن الفكاهة الى اخبار الحسان داعيا الى تحرير المرأة ، وإلى تعليم البنات فيصوغ من تلك الاזהار الناضرة شهادا شها فيها شفاء للناس يعلون عليه دون الخوف من ابر التقاليد البالية . فكان وديع عقل بذلك من انصار المرأة الفريسن دعوا الى سبيل تحريرها بالحكمة والموعظة الحسنة فكانت دعوهم مستجابة .

وفي ذلك العهد ، عهد الشباب ، وليته يعود يوما ، كانت نسبية لي قد رغبت الى بان ازودها بالكتب والمجلات الجديرة بالقراءة ، فكتبت لا اتو جريدة الراصد الا واجد فيها من النسائيات الجذابة ، والفوائد المختارة ما هو جدير بان يقطع ويضم الى باقة الفرائد التي كنت اهديها الى هذه الصبية المجتهدة .

وبعد فاني اذ اترجم على هذا الصديق الكبير الذي مثل لبنان احسن تمثيل في صدر هذا القرن ، وساهم في بنيان مجده اوجه الشكر الجزيل الى عارفي فضلته الذين شاكوا ان يحيوا ذكره بهذه الحفلة . واشكرهم ايضا على دعوتي للمساهمة في هذا الواجب . فهم جديرون بالشكر ، ولا يعزف الفضل الا ذووه .

محمد جميل بيهم

يقلعه ويروجه غير ان تعصبه للبنان كان مشفوعا بحبه للعروبة . فكان يعاخر بها ايضا ، ويباهي بلغتها ، ولا يدع فهي لغته ولغة آباءه واجداده . وكم له من حملات على المتبرزين منها في غصون تلك المحاولات الاجنبية التي كانت ترمي الى عزله لبنان عن العالم العربي ، وكم له من هجمات على الذين تعرضوا لها في المجلس النيابي .

ولما انتخب رئيسا للمجمع العلمي اللبناني اتبع له ان يقرن القول بالعمل : فكان ارائد الاول في الدعوة الى تعاون المصالح العربية الشقيقة ، ولا سيما في الناحية الثقافية . وقد عهد الي المجمع بناء على اقتراحه زيارة القاهرة لهذه الغاية ايان ما كانت مصر في عهد الحماية منطوية على نفسها . فكان تجاوبها مع هذه الدعوة الذي يرجع الفضل فيه لاحمد زكي باشا شيخ العروبة ، بمثابة الخطوة الاولى في سبيل التعاون العربي الحديث يسوم كانت البلاد العربية يبادء بينها الاستعمار على الرغم من اجسامها على نمطي الوحدة .

ثم لما انت الحكومة اللبنانية مجتمعا العلمي بحجة الاقتصاد ، وهي انما الفتنة مسيطرة للانتداب من جراء هذا التعاون هب وديع عقل حبيب النحر ، واعرب عن اله من هذا التجني بمقال ناري صدر في جريدته الراصد يوم ٢٤ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩٣٠ . وكان عنوانه : « من كان عدوا للعربية ، فهو عدو العرب وعدو لبنان » . وهذه كانت غضبة فسيانية بريرة لا شائبة فيها لان وديع حل لم يكن وقتئذ رئيسا للمجمع العلمي اللبناني حتى يتهم بان ثورته على حكومته كانت تعود الى عروبة من ذلك التصب الرفيع .

والى هذا كان وديع عقل من اللبنانيين المنحبين لفرنسا الموالين لانتدابها ، وكان كثيرا ما يتوه بها ويدافع عنها الا انه في حبه لحامية التكتلة في الشرق لم ينس وطنه . فكان لا يتوانى في الدفاع عن كرامة اللبنانيين وحقوقهم ، وعن التنديد بعمل الانتداب خاصة ، وعن التعريض بالاستعمار على وجه عام .

وكان كذلك من خصوم الدعوة الى الوحدة السورية تلك الدعوة التي ظهرت بقوة في اعقاب ممارسة فرنسا لانتدابها على سوريا ولبنان . ولكن معارضة الوحدة لم تكن مجارة للسلطة ولا معالاة لها وانما كانت قائمة على اقتناع مدارة ان يترك للزمن الفرصة الكافية حتى يجعل هذه الوحدة تفرض نفسها فرضا نتيجة للمصلحة العامة . هكذا كان صاحب الراصد في حياته الخاصة والعامة متزنا في سلوكه ، مستقلا برأيه لا تتحكم في عقله العواطف ، ولا يقوى التليام مهما كان جارفا ان يعيد به عن سنة الاعتدال . على اتنا لا تكون قد وفيناه حقه منس التعريف اذا لم تلق نظرة على جريدته التي كانت تنطق بلسانه ، وتعبر عن خلجات قلبه .

كانت « الراصد » جريدة سياسية ، وللبياسة فيها

انتي استطيع السير معكم جنباً الى جنب . انسي وان كنت ضعيفة الساقين محدودة الظهر ما زلت قوية الامل في الحياة . - انك اراضي الشجرة ودوري العامرة في مسقط رأسي واهيم على وجهي في بلاد الغربة ؟ ان هذا يمزق الفؤاد . - استولي الاعداء على حانوتي العامر بجميع الوان البضائع التي بدلت مالي وقدمت عصارة ذهني نمنا لها ؟ - كيف اتخلي عن اثاث منزلي الثمين لقوم ليسوا اهلاً لان يحتفظوا بقطعة واحدة منه ؟ لقد قضيت عمري وانا اجمع النقود لاتزوج واملا منزلي بالاثاث الفاخر . وقد استاجرت منزلاً فخماً وجلبت اليه افضل انواع الاثاث ، وقدمت الى عروسي حلياً نفيسة وملابس انيقة ، وكان في النية ان اتزوج بعد اسبوع . وهكذا ذهبت انمايسي ادراج الرياح . - ان لي على ايسي سليمان اليوسف للامانة دينار ، وقد وعدني بدفع مئة دينار من هذا المبلغ غداً . يا لله ما اعجب الاقدار ! - ومالي الذي في البنك ؟ ان لي في البنك ألفي دينار . يا ضياع مالي وتعيي ! - يبارني الواسعة باشجار برتقالها والخضر والمراها الياقة . انكرها لقمة سائفة للاعداء ؟ - يا قوم ! الى اين انتم هاربون ؟ قفوا ! هودوا الى بلدكم . ان كنتم ذاهبين الى الطمانينة والسعادة والهناء فلا تبجنوا عنها في غير بلدكم طولكرم فهي موجودة هنا . هاجبوا الاعداء وانزعوا منهم اسلحتهم وقاموهم بها لكي يحتفظوا بطمانيتكم وسعادتكم وهنائكم التي خلفتموها وراكم . هرج الاعالي من طولكرم في تدفق وذهول وارتباك رجالاً ونساء واطفالا هذا يحمل على ظهره كيس امعة ، وتلك تحمل على ساعدها طفلاً . كانوا كلهم متجهين الى الشرق حيث ارتفعت الشمس عن الافق قليلاً وهي تحرق بأشعتها الحارة . وكان كثيرون منهم في ملابس النوم اذ لم

ينفرون الاهالي بالقتل ان لم يخرجوا من المدينة . - ضمي النقود فسي لحاف الطفل لثلاً ينتزعها اليهود مناه والحلي الذهبية لا اين تخفيها . - ضعيها تحت قبعة الطفل . ان اليهود لا يقتشون ملابس الاطفال . - يا فتاح يا عليم ! اين كان هذا الهم مخبوءاً لنا ؟ - ليس هذا الوقت وقت تأسف وتحسر . هناك وقت اخر للانتقام . ان الحياة ليست نعيماً كله ولا شقاء كله . اننا راحلون الان ولكن لا بد من العودة الى طولكرم .

(اصوات من الداخل : ها انا احمل كيس امتعتي على ظهري وما حملت في حياتي قط كيساً مثله ومشيت به في شوارع طولكرم كما

الرجيل عن طولكرم

<http://ArchiveBeta.Sakhr.it.com>

بقلم عبد الحميد الانصاسي

يمشي العتال الفقير . انريدون ان تدلوني ايها الشام ؟ لا ، ان هذا لاينال من عزة نفسي ولا يشيط مزيجتي . ساقاوكم الان بصبري وغداً بلاحي - يعز علي كثيراً يا بلدي الحبيب ان انتركك للاعداء . لقد قضيت فسي ربوعك اجميل ايام حياتي كلها : طفولتي وصباي وشبابي وشيخوختي لا بد من العودة اليك يا طولكرم . ان ما تركته فيك من مواطن الذكرى هو المظانيص الذي يجذبني اليك . - سيروا يا اولادي . لا تفكروا في ،

« اصوات من الخارج : طب ! طب ! طب ! - القنابل ! القنابل ! احمد ! استيقظ يا ولدي ! قنابل ! قنابل ! قم ! هيا - اليهود ! اليهود ! السى اين نذهب ؟ - هورو ! أخ ! رأسي ! رأسي ! لقد هدمت الدار . هدمت القنابل الدار . - نجية ! اين سميرة ! احضري الولد وتعالى الي . - ايا حمدان ! انظر ! ان الناس يخرجون من الدور الى الشوارع . انظر ! الى اين هم ذاهبون ؟ - طب ! طب ! - لقد سقطت قنبلة على دار ايسي سليم العبد الله . يا لله ! لقد هدمت القنابل السقف . الا تسرى ؟ - سام رجب ! - نعم . - ماذا تفعلين ؟ - انني احزم الملابس والامتعصة . - اسرعي ! اسرعي ! يجب ان نخرج من الدار على عجل والا هلكتنا . ان مدافع العدو تقصف البلد . - طب ! طب ! طب ! - محمود ! - ماذا تريد ؟ - هل رايت خطيبتني سعاد ؟ كلا . - لقد بحثت عنها في دار عمي ولكنني لم اجدها ولم اجد احداً من ابناء عمي . - ربما خرجوا من طولكرم . انركي الامتعصة الثقيلة . - يستطيع ان يحمل كل هذه الامتعصة ؟ احزمي الامتعصة الخفيفة فقط . الحرامات وقليل من الملابس الداخلية تكفي . هيا اسرعي ! - وابوك من يحمله ؟ انه شيخ ضريب . ساعدوا انسا واخي على حمله حتى نجد فسي طريقنا سيارة نقلنا الي عمان . طب - يا وردي ! يا وردي ! ما هذا ؟ صراخ . - لا بد ان تكون احسدى القنابل قد قتلت بعض السكان - طك ! طك ! - صوت رصاص ينادق ان اليهود يفتكون بالاهالي . لقد انتشروا في البلد . هاتي الامتعصة . الحقيقتي انت والاولاد . هيا ! سنتناول الفطور فيما بعد ، فسي الطريق . - امك مريضة وهي عاجوز لا تستطيع السير على قدميها - ساحملها . - خلي معك قوارير مثقلة بالاء . كل شيء ما عدا الماء . - يقال ان الجنود الاسرائيليين

قصّة

يجدوا وقتا كافيا لارتداء ملابسهم الخارجية . لقد قضوا الليلة الماضية في راحة وهذا اذ لم يخطر في بالهم ان صباح اليوم التالي يحمل لهم من الحوادث والانباء ما يتعارض مع امانى نفوسهم واحوالهم . وكانوا من حين الى آخر يلتفتون وراءهم لا ليودعوا مدينتهم الحبيبة بل ليتأكدوا من ان القنابل التي كانت تطلقها مدافع الاعداء لم تقرب منهم فقد شغلهم الارتباك من كل شيء ما عدا التفكير في السلامة . كان الواحد منهم يسير ذاهلا حتى من صديقه او جاره له يسير بجانبه من حيث لا يدري ما عدا رجلا واحدا التفت الى يساره متنهدا اذ علق نظره ببيارتة الكبيرة .

خرجت الجموع العربية من شرق المدينة ، ودخلت الجموع اليهودية من غربها . اخذ جنود الاعداء يعيشون في المدينة قبادة اطلقوا النار على اقفال ابواب الحوانيت ثم اقتحموها ناهيين مختلئين . ولم يكتفوا بذلك بل انتزعوا النقود والحلى من الاهلين وهم يخرجون من المدينة نازحين . ولم يستطع الاهلون ان يفعلوا شيئا فقد كانوا عزلا من الاسلحة والاعداء الاقوياء والمغيثين الاشداء وذوي الانسانية والمدالة . وكان بين تلك الجموع الغفيرة رجل اسم امين وهو شاب صلب العضلات ناري النظرات مديد القامة متدفع الصدر . وكانت تسير الى جانب هذا الرجل اسرة مؤلفة من اساتذ كان يعلم في مدرسة ثانوية في المدينة واسمه يحيى ومن زوجته وولد في السابعة عشرة من عمره وبنيت في العاشرة من عمرها . وعلى مقربة من هؤلاء رجل اسمه شفيق وامراة صبية حبلى كان قد تزوج بها منذ بضعة اشهر . ولسم بخوضوا موضوعا من مواضيع الاحاديث اثناء سيرهم ما عدا عبارات التأسف والتحرر التي كانوا ينفسون بها عن قلوبهم الملهبة

من حين الى اخر . غير ان يحيى وهو رجل فكري بحكم وظيفته كان مستغرقا في تفكير عميق . وكثيرا ما هم بالنطق بما يدور في ذهنه من افكار غير ان المصيبة كانت تعاجل لسانه بخنقة في قلبه فيمتنع عن النطق ، واخيرا وضع حدا لسكوته اذ التفت الى امين قائلا :

— الى اين تريد ان تذهب يا امين ؟
فاطوا امين من عينيه الواسعتين اللامعتين نظرة طويلة شاردة ثم اجاب بهد قليل مسن التفكير :
— وجهتي نابلس .
فاجال الاستاذ نظره في محذله وقال :

— نابلس ! ولكن الاعداء لا يدان بزحفوا الى تلك المدينة يا ريتي .
(اخشى ان ترغم على الرحيل كما رحلت من طولكرم) .
فقال امين بلا مبالاة :

— وان يكن ؟
وبعد حين التفت امين الى يحيى قائلا : — واقتد يا وجهتك ؟
— نعمان . ان لي اقرباء هناك .
(يجب ان اكون يمتاى عن الاعداء لكي اتمكن من الدفاع عن وطني ولو بقلبي) .

ثم التفت الى شفيق قائلا :
— وانت يا شفيق ما وجهتك ؟
— انني متجه الى اردب حيث تقيم اسرة زوجتي .
(لو لم تكن اسرة زوجتي هناك لاضطرت ان اقيم في خيمة باحد المخيمات) .

وفي طريقهم مروا باسرة مؤلفة من شيخ وعجوز مريضة كانت مستلقية على العشب ومن شاب وثلاثة اولاد كانوا جالسين على الارض . وكان الشيوخ والشباب يتناولون فطورهما ماشين الطمان باستناعتهم والهموم بقلبيهما .

وبعد هرة مروا برجل اعوى يقوده حفيده وهو في الحادية عشرة من عمره . وكان الشيخ يتلو آيات من

القرآن بصوت ذليل ليخرج الله عنه كربه ويهديه الصراط المستقيم ، بينما كان حفيده يصني اليه فسي خوف وتامل واحترام .

وقد اقبلوا على رجل مرد ثوبا ابيض وعلى راسه معامة خضراء امتد طرفها على عنقه ، وقد طوق عنقه بسبكة كبيرة ذات خرزات فضحة . اما ثوبه فقد كان قفصا شبيها بخيمة انتزعت اوتادها وارتخت اسبابها . وكان يسوق امامه حمارا يحمل قرية مقللة بالاء . وكان يطوف بالقرية من اللاجئين وهو يقدم اباريق من الماء ليسيقي العطاش ولا سيما الاطفال والفلان . وكانت الاصوات ترتفع من كل ناحية : يا شيخ مسعود ! ماء يا شيخ مسعود ! وكان الرجل يخدم ابناء بلده فسي رشا وغبطة عجيبة . وقد قنع بالخدمات الحارة التي تنبع من افواه العطاش جزاء له على عمله الطيب .

ولما وصل النازحون الى بلدة عنتبا تجمر اهولها من حولهم يسألونهم ماذا حدث طولكرم وهل بقي فيها احد . وقد استمعتم وجوههم امارات الخوف والذعر اذ خشى الاهالي ان يكون مصيرهم شبيها بمصير مدينتي طولكرم . وكانت الهزات الخزينة التي تصدر عن رؤوسهم الجامدة اثناء الاستماع الى حديث النازحين دليلا على ذلك .

وواصل النازحون سيرهم مخلفين في بلدة عنتبا الجياح والمرضى ومن تعبت ارجلهم وتالت اقدامهم . ولم يك نصف ساعة يمضي على خروجهم من بلدة عنتبا حتى بدأ التعب يمتشي في ارجلهم وظهورهم والمال فسي نفوسهم والسخط في افواههم .

وبينما كانوا يسيرون وصحبه يتحدثون اثناء سيرهم اذ مر بهم سيارة . فلما وقع نظر امين عليها قال للاستاذ :

— هذا درويش حستين السائق . لقد رحل عن طولكرم هو وآسرته في

سيارته .

وقال شقيق : - هيثا له ! ليت لي سيارة كسيارته . اذن لركبنا جميعا فيها . لقد كنت شريكا لآخي في سيارة اجرة غير انني بمتعتها اخيرا لكثرة النفقات التي اقتضاها ما كان يصيبها من تلف .

(ليتني لم ابع سيارتي . انها في مثل هذه الساعة خير من الاموال كلها) .

وقال يحيى : - ان من حسن حظ ذلك السائق ان يفر بسيارته من وجوه الاعداء وينجو من شرهم ، فان سيارات الاجرة والسيارات الخاصة يأخذها الاعداء منا ويحتفظون بها سلبا .

(كان في امكاني حينما كنت في طولكرم ان اطلب من صديقي حامد ايوب ان يقفني معه في سيارته الخاصة ، ولكنني ابيت ان امض عليه ذلك اذ ربما كان في التنية ان يركب معه اشخاص من اقربائه) .

وانهم كذلك اذ سمعوا دويًا هائلا حشا القبة الزرقاء بالازعاج وانزل صواحق من الرعب على الارض . فاضى الناس النازحون باذاتهم وقولهم وقلوبهم وجوارحهم ، وشعروا ان سوء حظهم ما يزال يلاحقهم . نظروا الى السماء باحثين بعيونهم التعبة من الطائرات التي يمشت ذلك الدوي الهائل . وارتفعت الاصوات : طائرات ! طائرات يهودية !

وتفرق المارحون هاربين الى نواح مختلفة . اختبأ بعضهم تحت اشجار الزيتون ، واعتصم بعضهم ببطون الصخور . وبعد قليل سمع دوي قتال تردد صداه في الوديسة والقلوب .

ظل اللاجئين في مخابثهم حتى ابتعد دوي الطائرات عنهم فابتعدوا الى الطريق وواصلوا المسير وراحوا يتحدثون عن تلك الطائرات وعما القته من قتال . وقد تبين لهم ان احدا منهم لم يصب باذى وخطر في يالهم ان قوات الجيش

الاردني والعراقي هي التي كانت هدفنا لتقابل الاعداء .

وبينما كان يحيى وصحيبه يسيرون اذ صاح امين وهو يشير باصبعه الى سيارة تحترق في الطريق : - انظروا ! انها سيارة تحترق .

(انها سيارة مدنية . اخشى ان تكون سيارة درويش حنين) . وقال يحيى : - لاشك ان الاعداء القوا عليها قنابل محرقة . تب اولئك المجرمين !

وقال شقيق : - اقتربوا من

السيارة . دعونا نذهب لنراها . (ترى هل احترق كل من فيها) . اقتربت الجماعة من السيارة على عجل واتخذ الجميع يسرحون انظارهم فيها وفي ركابها . وكان امين يحرق في ركابها بين جامدة كمدسة الصور كأنه اراد ان يلتقط صورة لتذكارية لهم ، ثم تراجع متائرا مدحاح : - مجرمون ! لقد احترق جميع من في السيارة . انها سيارة درويش حنين للذي من ينال حيد

بضيق قتال . ان في نقابها . اجل هو درويش حنين . يمكنني ان اتبين ملاح وجهه على الزعم من التشويه الذي سببته القنابل المحرقة له .

ثم اخذ يحرق الارم سخطا ونفطًا وقد اطبق اصابعه وشد اعصاب يديه فتجمعت عضلاتهما الصلبة . (اصوات من الداخل : ايسن السلاح ؟ اعطوني سلاحا . اشعر برغبة في العودة للانتقام من اولئك الفادرين الذين احرقوا هؤلاء العزل . احرقوا الاطفال والنساء والاولاد . ويل لهم !)

(منظر في الداخل : يعود الى طولكرم فيخطف مدفعا رشاشا من جندي يهودي وياخذ في اطلاق النار على الاعداء) .

ولما رأى شقيق ما حل بركاب السيارة اطلق تنهدة عميقة ، وقال في حزن شديد : - لا حول ولا قوة الا بالله !

اما الاستاذ يحيى فقد عجز عن

التعبير عما اتعبه في قلبه من الثورة والاسى بالكلام فانطقت نفسه تحدته في حرية صامتة ، واخذت الاخيلة ترسم في ذهنه صورا ملتهبة :

(اصوات من الداخل : هل من الشجاعة ان تلقى القنابل المحرقة على هذه الاسرة المزلاء - على النساء والاطفال ؟ لقد سمحوا لتلك الاسرة بالرحيل عن طولكرم ، فلماذا لم نلتحقنا طائراتهم واحرقناها ؟ ايسن الحق ؟ اين المدل !)

(منظر في الداخل : يقف على منصة ولقي على جمع من الناس كلمة مؤثرة يصف بها ما شاهده بعد رحيله من طولكرم) .

وواصلت الجماعة السير مع بقية اللاجئين . وفي الطريق وقفت انظارهم على احدى سيارات الجيش وقد احترقت بمن فيها بسبب قنبلة محرقة القها طائرات الاعداء عليها ، ورأوا بجانبها دبابة تالفة مائلة الى الخندق .

وعلى بعد بضعة امتار من الدبابة والسيارة رأى اللاجئين جنديا اردنيا ملقى على الارض ، وقد تعدد بجانبه جندي آخر عراقي . وكان كلاهما قتلا .

كاد يحيى ينفجر ثورة وسخطا : (اصوات من الداخل : لماذا هربنا هذه الهزيمة الفاضة ؟ لقد كان العرب في فجر الاسلام كتلة من الحماة والحيوية والشجاعة . خرجوا من الصحراء القاحلة ليشعروا بلادا الى بلادهم ، ومات كثيرون منهم شهداء في سبيل الاسلام مؤملين ان يكون جزاؤهم على اخلاصهم في القتال جنات سماوية فيها اطياب المأكولات وفيها الحور والعين . ونحن خرجنا من اردننا ونحاول اليوم ان نسترد ارضنا فقدناها - نسترد جنة حافلة بالوان السعادة والهناء والخصب والمواكبة والثراء . ينبغي لنا ان تكافئ ونحارب في امل وبسالة من اجل فردوسنا المفقود . نحارب لنسترد

اصداقاً ، ان هؤلاء الاشخاص كانوا في الامس موضع احترام الناس واعجابهم وتقديرهم واتسم .
ولما اعترضهم نهر الاردن التفتوا حولهم فراوا نكتات من الجبن والزيت والريون تركها اصحابها هناك لمدم تمكنهم من حملها . عبروا البحر وقطعوا بقية الغور .
ثم اعترضتهم جبال السليط الشامخة فبدت كأنها مصائبهم وهومهم مجسمة . تسلقوها تسلق الغنسان بانفاس متقطعة وسدور مرعدة واقدام محطمة .

— لقد هلكت تعباً . متى نصل يا ابي ؟
— بعد قليل يا بنتي .
(بعد ساعات طوال) .

وفي احدى الجبال اسفرقوا في صوت عقيق . وفجأة شق صوت منكر سكن الليل وعكر صفوه .
تكرر ذلك الصوت الغريب . ولما زحف في اذن زوجة يحيى رفعت راسها عن الارض مصغية . قصد ملا الصوت قلبها ربما فامشيت يدها الى كف زوجها تزهها هزاً عنيفاً ليعلمها صوت اي وحش ذلك الذي تسمعه . ولكنه اثر الاسترقاق في النوم قالوا : « انه صوت كلب كالعادة » . غير انه لم يلبث ان هب منتصباً حينما ايقن ان الصوت هو صوت ضبع . لقد سمعه مرة من قبل . اخذ يفكر في وسيلة للتخلص منه . ليس لديه مسدس او سكين يقتله به . وفجأة التفتت فكره في ذهنه مستقاة من اححدى القصص التي طالعها وهي ان يوقد النار لمل الضبع فيمتدح منهم . وما كاد الضبع يقترب منهم حتى اشتعلت النار فولاهم ظهره ومضى .

وفي صباح اليوم التالي واصلوا السير وهم يترنحون تعباً وضماً . ولما اقتربوا من طريق السلط اشار يحيى الى سيارة (باص) توقفت وركبوا فيها ملقين عنهم احوال تعبهم . واتجهت السيارة الى عمان .

عنان عبد الحميد الانشاصي

وبعد ذلك تفرق اللاجئون هنا وهناك مبتعدين عن الطريق العام لئلا يقع عليهم شيء من قنابيل الطائرات . وكان يحيى يسير هو وافراد أسرته في مسلك يؤديه الى قنجيل تبنت عليه اشجار متنوعة . اما شقيق وزوجته فقد اتخذوا لهما مسلكاً آخر بعد ان اتقيا اقرباء لهم من النازحين .

صعد يحيى وافراد أسرته الى قم الجبال وهبطوا الى اوديتها فنال التعب والمثقة منهم لما اعترض سيلهم من عقبات ولما عاوه من جوع ولما وشلال عن الطريق . ولما حل المساء استقر بهم القمام مؤقناً تحت شجرة فينانة ليقتضوا هناك ليلتهم ثم يواصلوا المسير في اليوم التالي .

وفي اثناء الليل استيقظت بنت يحيى على صوت حيوان « فاستولى عليها ذعر شديد ، ولصقت يامها وتظنها . وقد داخل هذه خوف نأبقت بلبورها زوجها . وبعد ان ارضعها الرضبان اللعج تهيأت لعلها ان الصوت هو كبح صائد عن كلب . ثم اتى الايقاظ رؤوسهم على مخدات من التراب ملتجئين بحرام واحد غطيت به اجسامهم جميعاً نعت ليل من الاشجار فوقه ليل من السماء .

وفي صباح اليوم التالي تابعوا المسير بشيء قليل من الشباط ، غير أنهم شعروا بالآلام فسي اصاب اقدمهم من شدة المشي . ثم انهم جلسوا تحت شجرة ضاربة الظل ليتناولوا غداء مؤلفاً من قليل من الصنتر والبصل وقتات من ارغفة جافة .

انتهاوا الى النور وهو شديد الانخفاض حار الهواء . وهناك شعروا بضيق خائق من لهب الهواء وشآبيب العرق الساخن . وبذلك تكاثب عليهم الجوع والظما والحر والرق . كان منظرهم منظر مشردين هائمين على وجوههم لا وطن لهم ولا عشيرة ولا اقربين ولا

جننا فنتمتع بما فيها من نعيم وهناء . وكل يسائر عامة الناس وينزل الى مساوهم في تفكيرهم . ويتقدار ما يساير العوام بيند المتغور المنتجون من انهم اولسى بالناية والتقدير والاهتمام من العوام اذ هم الذين يكسعون عن امراض المجتمع ويقدمون له العلاج الناجح . ويلدون تشجيع المثقفين المنتجين ولا سيما العباقرة منهم يظل المجتمع مريضاً جاهلاً شقياً متأخراً في سلم الرقي والتقدم) .
وكانت على مقربة من احدى الجنديين بنديّة محتوية لم يطلق من يداها شيء بعد . ولما وقع نظر امين عليها تقدم اليها بضع خطوات يقدمين مصبيتين طمن بها ظهر الارض ، واخذ يجيرل بصره فيها متقدماً ، ثم تناولها من الارض في رودة واطبق على مقبضها اصابع احدي يديه ، لسم لتناول صف الرصاص من كتف صاحبها الجندي القليل والقاه على كتفه وتكذب البندقيّة من اتجه نحو الغرب — نحو طولكرم ، فاستغرب صاحبها ما فعل . وقال له شقيق :

— ماذا تريد ان تفعل ؟
فاجابه امين في عزم وابعزاز وروانة : — اريد ان اعود الى طولكرم لاحارب .
— ولكنك وحيد . انك تعرض نفسك للقتل .

(لا شك انك شجاع اي النفس)
وقال يحيى لشقيق بنعمة مفعمة بالثاني : — سمع . انه يريد ان يثار للقتلى منا .

(ليت بيننا الفا من امثال هذا الرجل . اذن لتغلبنا على الاعداء) .
ومشى امين فسي قوة وسخط قالاً : اني لست وحيداً ففي ذهني الوف من الاصوات تحثني على الجهاد والدفاع عن الوطن . لذا اشعر بان في جسمي قوى الوف من الناس . انني لا استطيع ان ارضى شعيري اذا لم اجاهد واكافح .

جولة مع فلاسفة السخرية والفضافة

بقلم مصطفى درويش الدباع

ضحك الوجيه والإصحاب .. لقد عرض امام بالوجيه ، وكان هذا مراهبا كبيرا من الطراز الاول ، يرهن الفلاحون عنده اطيافهم ومزارعهم لقاء فائدة فاحشة ، ولا مراء ، فان وراء هذه السخرية مَنزى اجتماعيا كبيرا ، فهي تائب الوجيه على سوء فعله مع مديونية بالاضافة الى أنه اوراه موضع النقص في اخلاقه ، وحشه على معاملة الناس معاملة انسانية ، صب كل ذلك في قالب فكاهي فيه ابداع وتفنن .

وثمة فيلسوف اجتماعي وساخر كبير ، كان استنادا لامام العبد في ميدان الفكاهة والنقد والسخر هو « محمد البايبي » ويضرب المثال بعجيبته الحلو الجميل فيقولون « حديث بايبي » . كان يستعمل الى المني الكبير عبد الحي حلمي في احد مسارح القاهرة وهو يغني مقطع الدور الذي جاء فيه « اهل السباح اللاح . دول . فين اراضيمه » فاجابه البايبي .. في البنك العقاري يا عبد الحي ! فضحك المستمعون وضحك المني ، وتوقف عن الغناء . لقد عرض البايبي بطلاقة كبيرة مسن ابناء الاعيان الاثرياء ، ومطالب اللذات والشهوات ، الذين يرهنون املاكهم لدى البنك العقاري ، لقاء اقتراضهم سلفات كبيرة يبدرونها على موايد اليسر والتمتع وعلى غواني المسارح ، أنه تعرض باليدخ والترف ، وتقد اجتماعي للحالة التي كان عليها الناس .. واذا كان البايبي والعبد مرقا بميسدان الفكاهة والمليخ ، فثمة شاعر آخر كان له جولات فسي عيضان الشعر والسخرية والنقد الاجتماعي المنيق الا وهو « ابراهيم الدباع » وكان هؤلاء الاقائيم الثلاثة لا يتفرون حتى يجتمعوا اما في مقهى اسكندرية او بار اللواد ، او في مواطن السحر في قصور الوجيه واكابسر العظمة بالقاهرة ومنها قصر شيرين ، وقصر احمد تيمور والسادات وغيرهم .

جاء احدثهم الى ابراهيم الدباع وهو بمقهى النيشاوي واخبره من وليمة كبرى اقامها في داره فسي غواخي القاهرة ، وذكر له اسناف المازج والخراف التي قدمها لضيوفه ، وكان يستمع اليه وهو مضطج حنق على سوء تليده ، ولما انتهى من الوصف والتعداد اجابه الدباع مرتجلا امام جمع كبير من الاصداة :

والسني هرب القرايين فكسا لاني .. لدا تستال منها من كباشي فيجتها ، وغسرا .. كنت اولي والله ، بالبيع منها ولقد شاهد ولع السيدات بالمساحيق وفي طلائها مسخ لظواهر الصدق والطبيعة ، تآكلت هذه المغالطات وأزعجه اقبال السيدات ابان الصيف يمرحن على شاطئ البحر ، مرتديات البسة الفتنة ، دونما وازع من حياء او دين ، يفضن على البحر سباحات غير محتشحات ، فانقبض من هذا المشهد المؤلم ، وأسبح اله على البحر الذي غطى وجهه بالوجع قتال :

تؤور البحر ، فالتة لصوب تؤل خواطر الشراء منها

ارقي انواع الفكاهة هو السخرية ، سخرية العظيم مسن اوضاع المجتمع الذي يعيش تحت ظلاله ، يرى فيه نقصا ، وانحرافا عن الكمال الانساني ، والمثل العليا التي يشوقها في نفسه ، فتعثره الحسرة ، فينتقد النقص ، ويسخر منه في قالب فكاهي ، يسخر والارض تعيد تحت اقدامه ، انه السخر الناتج عن الالم الانساني في ايده مراهبه ، هو السخر الهادف الذي يروجو للانسانية الكمال ، ويبين للناس نقائصهم ، ونواحي ضعفهم ، ليحيّدوا عن الشرع الخطيء وليتخذوا طريق الصواب والكمال ، وليس سخر البطر والاستعزاء والانانية ..

والساخر العظيم يتسلع بذكاء حاد ، يبين له الفرق والفراق بين النقصان والكمال ، وفي الجبال الانسانية نقاط ضعف كثيرة ، يتأهب لها الذكي لئلا يها بها امده الله به من الذكاء الفياض والروح الشافية الحلوة ، ليكتسح هذه الشفوات الضعيفة بمعمل سخره الكبير ، فتهدي الفرق بين النقص والكمال .. وتستطيع ان تبيّن فني فكاهات عباقرة السخر وتقدم العميق البناء فيضا زاخرا مسن الافكار المكشفة ، يرسلونها معيقة حارة صادرة عن اتسون نفسهم الكبير ، يفتينا من قراءة كتب عديده تلبف افكارنا واحليميئنا وتهز انفسنا ، فنضحك منها ومن غرورنا اذ استطاع هؤلاء العباقرة ان يلتقطوا ما ران على انفسنا من الفروق ، واطلعونا على نقاط الضعف الكامنة فينا ، فصحتنا وضحكوا معنا ساجرين ..

ومن كبار الظرفاء الساخرين الشاعر « امام العبد » وكان قنفا ملبح التكنة والنادرة ، وساخر مسن طراز رفيع .. كان يمر مع احد اسدقائه الوجيه ، في ليلسة باردة مطرة باحدى مقاهي القاهرة ، وعند انتهاء السهرة عرض الوجيه معظمه على امام ليرتيده اثناء البرد .. اذ لم يكن متندرا بالماليس الشتوية ، على ان يعيده في ليلة ثانية ، ولامر ما لم يحضر امام الا بعد اسبوعين ، وقد تناوله الوجيه بقوارص الكلام ، واذا علم « العبد » بما تقوله عليه الوجيه ، ذهب الى سوق الثياب القديمة (روبا بيكا) واشترى سترة قديمة ، وما عت حتى انتلق بها والمطف الى حيث كان يسمر الوجيه ، فنتقاه اسدقائه بالترحيب والتأهيل ، واعاد المطف الى الوجيه وسلمه السترة ايضا ، ولما سأله الوجيه عن سبب احضار السترة اجاب امام : السترة هي الفائدة الفاحشة عن المطف ..

عطري

عطري الذي احببتك ساء
لايبت احلم بالذي
واقول في الاحلام
حذر العيون تردنا
عطري سابعنه اليك
وابت في طياتها جبي
لتحس رغم بهاد
وبانسي رمز الوفاء
عطري مزجت عبيره
لم ينس من يستاقبه
لك انت وحدك يا
يوم اللقاء يسوع في
لم انسى يوم سالتني
وتقول اني قد سكر
فاذا اريت انثى غو
واقول للمطر المفضل
عطري وحققك لن
من حزنه يخبو و
يا عطري الفواح يا
بل يا رسول اثنين قد
طف حوله انسى يكون
وانقل له لحن الحنين مع
روحية القليني
مصر الجديدة

المشاهد والمبازل ، وان ما قاله بالامس عنهن وهن يلدرن
الشوارع بعد ان هجرن البيوت ينطبق عليهن ما قاله من
قصيدة طويلة :

واما القيد ، والبيش الضاري وهن سواقر في شبه لبس
بلكن الحسن من ساق لوجه وخفن طبعه من نظير وليس

مصطفى درويش الدباغ

عمان - الاردن

تري ، من ملائها ، حياض
وصاع ، ليبتها شرف وهيسر
نمر بصفرة الدماء حولا
راها البحر ، مقلبة عليه
وماذا عساه ان يقول لو مد الله
في اجله وشاهد
السيدات بليس « البكتي »
ومواقع الفتنة ، نطاقا من الاحداق والمهجات ، اتراه يقول
ان نساء الماضي هم نساء هذه الايام مع تحوير لطيف في

الرهوى ومدينت العينين

ما اجمل ان تنو زهره
 فسي قلبك ..
 ان تهوى مره !
 ان تصيح انسانا آخر
 ان تعشق انسانا آخر
 ترشف ذهلا من شغفه
 وتضع .. تغيب بعينه ..
 ما اروع همس العينين
 حسين يمدار
 بين اثنين
 أعق من بوح الشفتين
 بحديث القلبين !
 العين تغيم
 لتقول اھيم
 ويسرح السوسو
 يعطر لؤلؤ
 ويدور حوار
 كحوار النار
 ومضا شرح عن سرين
 بين اثنين

فؤاد الغشن

امنيات

اود لو المم الانسداء
 عن وردة عجيبة الصفاء
 اغزلها سلاة رقيقة
 لعينك الحائلة الخضراء
 متاعة شغيفة ازادها النجوم
 وذنق على سنا غدیرنا یوم !
 اريد ان احول من براعم الوزال
 قماربين الناصمين شال
 يلف ما اشراق في ظلف السؤال
 يا ربة تذيب في عروقي الحمم
 والتوق للقمم
 تحيلني « سيزيف »
 في جيرة دائية العناد
 لتستقر صخرتي في فوة المراد
 تيمت بي للكشف ستعباد
 رؤاه لا تغيب عن وضوحها جزيره
 مرصودة على اسمه
 كنوزها الكثيرة !



جمال الدين السيال الذي فقدناه

بقلم محمد عبد القني حسن

الدكتور « جمال الدين السيال » بقصة عشر كتابا ما بين تحقيق وتأليف ، عدا مقالاتا ويهوله الصديقة المنشورة هنا وهناك ، كالفصل الذي كتبه في كتاب « تراث عمر القديس » الذي شارك في تأليفه نخبه من أساتذة جامعة القاهرة وطبعة المصنف سنة ١٩٣٧ ، وكالمقال المصنف الذي نشره في المجلد الثاني من « مجلة كلية الآداب بجامعة الاسكندرية » سنة ١٩٤٤ بعنوان : « الدكتور برون والتشكيك محمد عباد القنطاري ومحمد عمر الترنسي » ، وكالمقالة التي نشره في مجلة الاسكندرية سنة ١٩٣٧ من « الإسلام في غرب افريقيا » .

وإذا كان الدكتور المؤرخ جمال الدين السيال قد اختاره الله لجواره في غير طول في الاجل ومدة في العمر ، فسان الله فبده يارك في حياته المملوءة شبابا وسعة وحياة ونشاطا ، فلهم في الكلية التاريخية بكتب ودراسات كثيرة ، اعانه عليها امور كثيرة . فقد كان - رحمه الله - قوي الهبة ، شديد الاسر ، جليدا عيسى العمل التواصل ، واليحيى الدائم ، عاكفا على كتبه ومكتبته يقرأها في صبر جميل ، ويسجل في اوراق خاصة ما يبين على ان يقوم بحث متكامل الاقراء في موضوع معين .

والعمر والادب وحدهما لا يكتفيان ما لم يترافعا الميل والدفاع والهوى المتدافع . وقد كان صديقا الشيال كما يرى يتجلى به في التاريخ منذ كان طالبا في الجامعة ، ومنذ كان مدرسا لتاريخ بمدرسة الخريش الابتدائية سنة ١٩٤٠ . فقد كان في ذلك الزمان العربي العزيز - رد الله فرته علينا - بعيدا عن القاهرة ودور كتبه ، ومجالات بحثها ، ومواسم مسافراتها . والطريق بين الخريش وبين القاهرة في ذلك الزمان لم يكن بالظاهرة ، حتى نظوى بهام مسافة البعد وينلو بعيدا ، ولكنه كان بالظاهر الذي يقطع جزءا من ارض سيناء الحالية في عشر ساعات طوال تقال ...

ولكن مؤرخنا الناشئ العديد يومذاك لم يلق بمفترقه فسي الخريش ، ولم يلب به الدهر والزور في ذلك المكان البعيد ، فاذل منه من كتب المراجع والمصادر ما يبينه حليى القراء والبحث والتحقيق ، حتى تهيأ له في تلك الفترة ان يخرج مخطوطا للمؤرخ القريزي مؤثره « الامانة يشك الفتحة » . ولم يتولد جمال الدين الشيال بتخليق هذا المخطوط الهام ونشره لأول مرة في المصنف العربي والغربي ، فقد شاركه في التحقيق والنشر استلاده وصديقه الدكتور محمد مصطفى زيادة الذي كان في ذلك الحين استنادا مستندا في كلية الآداب بجامعة القاهرة .

ولا يكاد كلى الشيال ونزومه الشديد الى التاريخ يبغي طينا لحظة واحدة . فان كتبه التي انفا وحفظها ، وعملاته التي ديجها وحررها نذل عليه ، وتشير اليه بوضوح ظاهر . على انه هو احبها كان في بعض المواضع من كتبه وتحقيقاته يشير الى هذه التزمسة التاريخية التي هيأه الله لها ، واسرله في ديويسا .. فتراه يقول - مثلا - في مقدمة كتابه المفيد الطريف « اعلام الاسكندرية فسي العصر الاسلامي » الذي نشرته دار المعارف سنة ١٩١٥ : « ولما منذ اخترت لنفسى - او اختار لي القدر - التخصص في دراسة التاريخ الاسلامي وجدني أشغل شغلا كبيرا بتاريخه كنه ، ولواريح الثور

البحرية بصفة خاصة ... »

ولعل غرامه بالتاريخ للتور والكن البحرية قد جاء من كونه هو من مواليد أحد التور البحرية . فان مدينة « دمياط » هي وطنه الصغير ومسقط رأسه . على ان الله العلي القدير شاء ان يربطه بالتور والكن البحرية برباط آخر لا يقل من رباط المولد قوة وأصرة . فقد تزوج من الاسكندرية ، وكان ولده وبنته من اهل ذلك النفر العريق . ولا يدع هو رحمه الله - هذه الفتنة تمر دون ان يبرزها في آثار خاص . فهو يهدي كتابه من اعلام الاسكندرية : « الى زوجتي بنت الاسكندرية » وإلى ولدي وبنتي أبناء وبنت الاسكندرية . وهو اهداء فيه من الوفاء للضمير والتسبب والزوجة والاولاد وموطن العمل ما فيه .

ولقد شاء الله ان يربط الدكتور جمال الدين الشيال بالاسكندرية برباط آخر قوي لاصق ، هو رباط العمل والكتب والعاشق . فقد عين للتدريس في جامعة الاسكندرية سنة ١٩٤٢ والحرب العالمية الثانية في رابيع اعوامها . وكان تعيينه هيبا في جامعة الاسكندرية ، او نلقه من التدريس بعددسى وزارة المعارف فسي التدريس بكلية الآداب ، ذا اثر كبير في حياته كلها . فقد كان قصادا في الوزارة ان يكون نظرا او حنشا او مديرا في إحدى الناطق التعليمية . ولكن الجامعة فتحت امامه متاهلح البحث ، وسبل الدرس ، وشعب الانتاج ، فالحب في هذا المجال اخصابا كاتما كانت هذه الوظيفة على فده ...

ولم ينس « الشيال » فضل الدين اعانه في هذا التل الذي غير مجرى حياته . ففي سنة ١٩٤٨ اصدر كتابا المعززين من تعليمه مؤثره « امالنا العتدا باخبار الامم الفاطمية المظف » . ولم يلقه ان يصدر الكتاب باقدا ، وفي نيل الى استلاده المؤرخ الكبير عبد الحميد العيادي « يلى » عهد آداب الاسكندرية واستلاد التاريخ الاسلامي بعد حينئذ ، يقول فيه : « وإلى لآخير هذا التل اضمسم حادث في حياتي . فند اناج في الجو القام لاشباع هوائى ، والابال على الدرس والبحث والانتاج . لم اناج في أيضا القرب منكم والعمل نعت الفالية في صحت على دوجتى الماجستير والمكتوداه ... »

ونستطيع ان نعد المؤرخ المرحوم عبد الحميد العيادي أحد العوامل التي ساعدت في توجيه جمال الدين الشيال هذه الوجهة التاريخية الإسلامية . فقد كان طالبا في كلية الآداب بجامعة القاهرة فيما بين سنتي ١٩٣٢ ، ١٩٣٦ ، وكان تلميذا للمرحوم العيادي . وقد اسبب - كما يقول - بغيره اللغة في تناول التاريخ العربي والحليسه ، وبأسلوبه المتناز في عرض الأحداث وتعليل الشخصيات . ولم يظف طالب سنة ستانه بعد تخرجه من الجامعة سنة ١٩٣٦ . ظل على قرب منه ، وزاراته قربة له « فيرنتي دجكم الفالية ، ونلجكم الفالية . وحبيبي هذا كله في دراسة التاريخ الاسلامي ، فالحيت على قراءة كتبه اقبال الشف ... »

ورأى العيادي في جمال الدين الشيال ما يشتر بغير ، وبعد بشرة طيبة في مجال التاريخ والدراسات الجامعية . فرشعه للتل من وزارة المعارف الى الجامعة ، وإلى هذا الترشيع بقوة ومساندة فالية ، حتى دخل الشيال آداب الاسكندرية مدرسا للتاريخ الى ان انتهى بها عميدنا لها واستلاد التاريخ الاسلامي فيها حيث اختاره الله الى جواره (يوم الخميس ٢ نوفمبر ١٩٦٧) .

ولقد دلل الشيال كثاف العلم ، ووقا لها مهاد التلة الجامعية ذلك التل السج الرضى الذي جعل الله به نفسه . فقد احلقت عليه - مع رفاته سنة ١٩٤٥ - مساحلة في الطبع ، ونبالة فسي المظف ، وتواصلا في القدر لم اصداها في كثير من المشتغلين بالعلم الذين اقلت بهم الاندال في طريقي ... وتعمل توفيقها باقدا كتبه الى تشريف « بعداقته » ، وهي كمة كان يعرض على كتابتها الى

في كل اعداد ، وما علمه اهل بوما واحدا يعوق الصدفة التي
الزم بمسها بها ، وزيك نفسه يوثاقها ...

فهو عالم يحبه كل من رآه ، ويجب هو كل انسان ، ويبذل
حيال بوماسي جهد . ولعل من سعادة نفسه وكرم خلقه ذلك
الوفاء المتأخر منه ، الذي بدا في سلوكه مؤبدا ، لا كان يبدو حسن
اوقاله ، وكمتمته الى استاذة المؤرخ عبد الحميد الصيادي في صدر
كتاب « الامام » ، للمؤرخي محمد دلال قولة على هذا الوفاء الحق .
على ان كتابه الذي ألفه سنة ١٩١٧ بعنوان « مصر والشام يسعين
دولتين » وصدر من « دار الفكر العربي » يحمل معنى آخر من معاني
الوفاء والعرفان لصديقه وزميله الاستاذ محمد خلف الله الذي كان
استاذاً للادب العربي ، ياداب الاسكندرية في ذلك العهد ، والذي أصبح
وكيلاً لجامعة عين شمس بعد ذلك . فقد صدر جمال الدين الشيباني
كتاب - له فئته التاريخية هذه - باعداد نرجو ان تتسع له بصفة
اسطر من هذا الحال تقديراً للخلق النبيل ، يقول فيه : « أخي خلف
الله . كان لي اخوان شفيان ما اكون حاجة الى اخوتيما ووطنهما . وبليت
بغيري اخي ، وكأنا يكرتيه منا . ولم اقل قد كنا في التشبيب
مناجين عالين : أخلاق نبيلة كريمة ، ووطنية عظيمة صادقة ،
وايمان بالله ميق وليق ، ونسب طاهرة صافية » .

ولقد نعمت باخوتها زماناً كنت فيه ظلاً وصيلاً ، فكانت
لي القدوة الحسنة والاستاذين الطيبين ، فليت من شاكلتهما منا
زلت أمتد به حتى اليوم . لم تغيرهما الله ليؤخره خير ما يكونان
أعلا باسمنا شيراً ، وأشد ما أكون حاجة الى اخوتيما ووطنهما . وبليت
وحدي أشد الآخ في الحياة لأجل هذه . واكتم الآثم لي فلفهما في
اعمال نفسي ، وابقيهما بقلبي ووجداني . وذخيري الوحيدة التي
استسلمت بها ، في ذرى هذه الاخوة الحسنة . وكانها هم جعلت -
اتلمسوا كما ادمت بي الطوبى اوجعت لي الأخ المين ...
لم نلت الى الاستكتم ، ونعرت اليه أيها الأخ النبيل ،
فهرت فيك صورة من أخوي الزاهدين ، ووجئت من عواطفك
الرفيعة ، وخلقك الإنساني ، وطغلك على عواطفها عما فاضت
بفعلها ... »

والحق أننا ولفنا عند خلق المؤرخ الراحل جمال الدين الشيباني
وقفة خاصة ، واعتقاداً داعية لخلق الكلام . ولوليتا لخلق منته
في الحديث عنه ليل ان نمضي فيما نحن بسعين من اهتماماته
التاريخية ، وتصنيف مؤلفاته وكتبه ، ومعاوناته لفرعي تاريخنا
القومي والاسلامي مرصاً لقصص جذابا ، ومنهج في التحقيق الذي
أخذ من استاذته عبد الحميد الصيادي والدكتور محمد مصطفى
زيادة ، وزاد عليه باهتمامات شخصية كثيرة ، واسلوبه الذي كان
يكتب به مؤلفاته ، ويعبر به بملعبات تطبيقية ، واهتماماته البالغ
في المخطوطات التي يملكها ، والتي التي يصنعها ، ولقائات التي
يبدعها بإبراز العصر القومي ، وإظهار العامل الوطني ، واهتماماته
الباقة بمخطوطات القريزي المؤرخ ، حتى لقد نوى ان يحمل من
صغارها في الحجم مكتبة صغيرة اسمها باسم « مكتبة القريزي
الصغيرة » سيرة الحدث عنها ما قليل ، وزحجيه بنقل كتبه
وتحقيقاته ، لا يسبق بنقل ولا نال . كما كان استاذ الصيادي ومحمد
مصطفى زيادة ، وكما يكون الافاض دالماً من اهل العلم وطلاب
الحقيقة ، ورواد المعرفة .

والذا استعرضنا كتب الشيباني المؤرخ وجنتها تنحصر في أربعة
اصناف من العمل التاريخي : أولها تحقيق المخطوطات وعرضها على
أحسن الوجوه القارية ما اراد لها مؤلفوها الاوائل . والذا كان
رحمه الله قد اهتم أول الامر بكتب القريزي ، فانه اتجه بعد ذلك
الى غيره من قدامي المؤرخين . فقد رأينا - وهو مزعم السراسر
والفكر والوقت بمكتبة القريزي الصغيرة - يتجه الى المؤرخ جمال

الدين به وأصل المؤلفي سنة ١٩١٧ هـ ليخرج كتابه المصحح : « مروج
الكروب » ، في اخبار بني ايوب ، منشوراً لأول مرة في العالم كله
عن مخطوطات كابرديج وباريس وإستانبول ، ومعقداً على منهجه
السليم الدقيق في التحقيق .

ولقد كانت بعض الاعتبارات الوطنية والقومية - بالإضافة الى
الاعتبارات الاسلامية - تعلى على الدكتور الشيباني اجتهاده في اختيار
المخطوطات التي يبحثها . فكتب « مروج الكروب » هو في تاريخ
الدولة الايوبية ، والجزء الثاني من هذا الكتاب هو تاريخ للبطر
السلم صلاح الدين وبعده الكبيرة التي بذلها لتكوين الجبهة
الاسلامية المتحدة ، وجهاد الاطم ضد قوى الصليبيين الذي توج
أخيراً بانتصاره الحاسم الرابع في موقعة حطين ، واسترداده بيت
القدس بعد ان قل تحت حكم الصليبيين قرابة قرن من الزمان .
ولا شك ان اختيار هذا الكتاب لل نشر كان لهذا .

وهذه الاعتبارات القومية والوطنية اعلمية جعلت الشيباني المؤرخ
متيقظاً شديد التيقظ لكل ما يبرز الشعور القومي في مصر . فهو
يلاحظ ان القريزي سبق رجال عصره بهذا الشعور القومي حين قال
في مقدمة كتابه « المواظ والامتنان » المعروف بخط القريزي :
« وكانت مصر هي مسقط رأسي ، وعلمب آتواي ، ومجمع ناسي ،
ومنى مشيرتي وحاشتي ، وموطن خاصتي وعامي ، وجواري الذي
ربى جنحي في كركه ، وعنى ملبي فلا تهوى الانفس فيره ذكر .
ولا زلت - منذ شذوت العلم - وبأني ربي اللطافة والغبه ، الرغب
في معرفة ابراهيم ، وأحب الاشراف على الانفراد من ابراهيم ، واهوى
مسألة الزكيان من سكان ديارها ... » ويقول الشيباني عن هذا
الشعور القومي عند القريزي : « هذا الشعور الوطني القوي المتأخر
كان شعوراً مبكراً ، سبق به القريزي عصره ، فحين لا نجد له شبيهاً
حتى منتصف القرن التاسع عشر الميلادي حين يبدأ الشيخ رفاعة
الطهطاوي بسند يلمز الوطن والوطنية في كتابه « منافع الاسلام
المصرية » وفي انقيده الشهيرة الكثيرة ... »

ومن هذه الفاتحة القومية الوطنية جاء اهتمام جديد أخسر
للدكتور الشيباني ، فاصبح بالتدريج رفاعة الطهطاوي الرائد للصالح
ونرجوه له سيرة حافلة . ولم يتكف بأن يؤلف في ذلك كتاباً واحداً
بل صنع في الطهطاوي كتابين يكاد يكونان متطابقين : أولهما في
سلسلة « اعلام الاسلام » سنة ١٩٤٥ بعنوان « رفاعة الطهطاوي » ،
وثانيهما في مجموعة نوايف الفكر العربي « سنة ١٩٥٨ بعنوان « رفاعة
دافع الطهطاوي » .

والثاني من تصنيف العمل التاريخي عند الشيباني هو التراجم
والسير . وقد قسم الشيباني نفسه هنا بسين التراجم للرجسالم ،
والتراجم للعلم . اذ التراجم للرجال فقد وزعها على رفاعة الطهطاوي
في الكتابين اللذين سبق الحديث عنهما ، وعلى « اعلام الاسكندرية في
العصر الاسلامي » . وقد ترجم فيه ثلاثة عشر علماً اسكندرياً مشيد
العصر الاول للاسلام الى زماننا هذا . وكل منهم بذل في ميدانه ،
سواء كان عالماً مؤلفاً افسوفاً ، ام وطنياً ثائراً ، ام مجتهداً .
والاطلاق الثلاثة عشر هم : ابو الدرداء ، وعبد الرحمن بن هرمز
والطرطوشي ، وابن عثان ، وابن عوف ، والعلاني السلمي ، وابو
الحسن الشاذلي ، وابو العباس المرسى ، وابن طه الله الاسكندري ،
والقباري ، والسيد محمد كريم ، وعبد الله التديم ، والشيوخ عبيد
العزيز شلوش .

على ان هناك مجموعة من التراجم للرجال نشرت له في فصول
مختلفات . ترجمته لعمرو بن النحاس في مجلة الهلال للتربية
سنة ١٩٢٧ ، وترجمته لشاعر تاج لؤلؤ بورلي بالثقافة عدد ١٣ ،
وترجمته لشاعر ابن عيين بمجلة الثقافة عدد ٢٥ ، وترجمته الرامة للدكتور
برون والتشيعين محمد عياد الطهطاوي ومحمد عمر التونس المشورة

مجلة كلية الآداب بالإسكندرية - العدد الثاني سنة ١٩٤٤ .

أما تراجمه وسيره فعند العربية الإسلامية فقد خص به نشر ديباط في كتابه « مجمل تاريخ ديباط سياسي واقتصاديا » المنشور سنة ١٩٤٤ ، كما خص الإسكندرية بكتاب « الإسكندرية - جغرافية المدينة وتطورها من أدم العصور إلى الوقت الحاضر » المنشور سنة ١٩٥٢ بالقاهرة ، على أن المحافظ كانت محل عنايته أيضا فكتب فيها بحثا طيبا عنوانه « المحافظ - كيف اختير مكانها ، ولم سميت بهذا الاسم » نشر بمجلة الرسالة ، العدد ٦٤٠ .

والثالث من تصنيف العمل التاريخي عند الشيال هو القصص التاريخي الجذاب ، وقد أسهم في هذا المجال بكتاب واحد هو « مصر والشام بين دولتين » ، ويصور الأحداث في القرنين الثقلين زمن انحلال الدولة الفاطمية وإيام الدولة الأيوبية . وقد عهد الشيال لنشر هذه النسخة التاريخية بتأويله : « أن هذا التأريخ لو استقصى من هذه المخطوطات ، ولنفست منه ما يتبقى به من أساليب واستقرارات وعرفناه على شبابنا عرفنا فاصبا جذابا ، لأن لو وجد طريقه إلى بلوسهم سهلة مسيرة ، وأن لا زل فليم إلى طيبا فاصبا معهم ، وشهدت طرهم . وروهم يتجارب غاية لينة ، لقيمهم الفائدة كلها وهم يصفرون في هذا العصر الفلق ، يبنون لأنفسهم والعرب أسس النهضة الجديدة ... »

وقد طهر هذا القضية سنة ١٩٤٧ أي بعد تعيينه في جامعة الإسكندرية بأربع سنوات ، وقد قصد به أن تكون أولى المحاولات في هذا الميدان ، ولقدنا نستظهر أن شوائب البحث والدرس والمعارف والتأليف والتأليف التاريخي الأكثر قد صرفته عن هذا المجال جملة فكان كتابه هذا يصفه الديك كما يقول شاعرنا القديم ..

أما التأليف والبحث فهو رابع مجالات التصنيف للعمل التاريخي عند مؤرخنا الراحل . ولم يكن « رحمه الله » فيه قصرا ، ولا عنه ونابا . وله فيه كتاب « تاريخ الترجمة والحركة الثقافية في مصر محمد علي » المنشور بالقاهرة سنة ١٩٥١ - وكتاب « تاريخ الترجمة في مصر في عهد الحملة الفرنسية المنشور بالقاهرة سنة ١٩٥٠ .

ولم يكن الشيال يحقق المخطوطات التاريخية بل منهج . وقد اخذ منهج من استأله الدكتور محمد مصطفى زيادة ، فهو يستوفى النسخ الخطية في أماكن وجودها قدر طاقته . ولقد حدث له فسي تحقيق كتاب « اللطيف المسبوك » ، في ذكر من حجب من المخططات والكتابات ، للمفريزي أنه حصل على نسخة خطية نادرة من الكتاب بعد تعديلها على نسخين . فوجد النسخة الثالثة - بعد أن قطع في أمانة النسختين شوقا كاملا - فتلهمها لهما وصحة وضبط . فقام بمسح جديد ليأبى النص كله على النسخة الجديدة . وحين قام بتحقيق كتاب « تل من التل » للمفريزي ، كسان يتنقن لو حصل في مخطوطتي لين وباريس أولا محاولة القروق الصالية دون ذلك ، فكتب في المقدمة يقول : « وما لا شيء أنا نشر وتحقيق أي مخطوط يكون الجرب إلى العمل إذا حصل التأثير على كل النسخ الموجودة من . وكنت أتمنى أن أوفق للحصول على نسخة باريس ولين ، غير أن القروق الصالية - سنة ١٩٢٦ - حالت بيني وبين تطبيق هذه الأمانة ، فبدأت تحقيقه مستمدا طيسى نسخة ديباط وحدها ... »

ولما زل القدمات التي يكتبها الشيال للمخطوطات التي يهتمها بدراسات وإليه ، ومطويات لينة من الكتاب وعصره ومؤلفه وقيمته واستنباطاته ، وطرفه ممتدة . في مقدمة للكتاب المسبوك للمفريزي بإحاطة بذاك وفهم عميق أن المفريزي اضطر خلافا عبد الله بن الزبير ، ولها سلته في سمع المخطوطات الذين جمعو ... كما بإحاطة أن أحدا من خلفه دولة بني أمية بالأندلس ، أو خلفه الفاطميين بالمغرب وعصر لم ينج ... كما بإحاطة أن المستنصر الفاطمي

كان يخرج في مكتب إلى الحج خروجوا وهما ! ولاحظنا أسما أن واحدا من سلاطين الأيوبيين لم يلبس إلى الحج ، ويعال هذا بانتهامه بالجهاد الإخمد عند المصليبيين .

وبعند الشيال في التحقيق الدقيق حتى لناون الكتب التي حققها .. فكتاب « أصناف الصناعات بإخبار الإله الخلق » هو كذلك عند المؤرخ ابن تقي بردي ، ولقد عند المؤرخي والمؤرخي اسمه : « أصناف الصناعات بإخبار الإله الخلق » بالالف لا بالفاء في الكلمة الأخيرة ، ويسره حاجي خليفة ، بأنه من « خلق الإله » ،

ولا يتكلى الشيال في تحقيقه للمخطوطات بالرجوع إلى النسخ الخطية للكتاب نفسه ، بل يذهب إلى أبعد من هذا ، فيحقق على الكتب والمؤلفات التي رجع إليها صاحب المخطوط . فإذا كسان الطبري المؤرخ وابن الأثير صاحب « الكامل » يشيران في آخر كل سنة - أي في أقطاب حوادنها - إلى من خرج للبحر من المخطوطات التي راوشين والأيوبيين والصليبيين ، فإن مؤرخنا الحديث جمال الدين الشيال يتخير الطبري وابن الأثير مرجعين لتأويلين يعود إليهما نقابة النص من كتاب « الذهب المسبوك » ، ولصحيحه ، كما يستعين على تصحيح ذلك بكتاب « جمهرة أصناف الصناعات » لابن حزم ، و « حلية الأولياء » لأبي نعيم . وكثيرا ما يعود حاجي - رحمه الله - إلى دواوين الشرح ليعارض النص الوارد في الكتاب المخطوط في أسلوبه في المداورين ، كما فعل في كتاب « أصناف الصناعات » للمفريزي وأشار إلى ذلك في مقدمته .

وقد يزعم الكتاب المخطوط ومطبعات خاصة كانت في الاسماء وأسماه وأسماء ، وهذا نرى الشيال ترجم للاملام في الهوامش ترجمات وجيزة معجزة ، كما يعرف في الهوامش أيضا تلك المطبوعات والاستعمالات التي لا تحب في صياح اللغة . ولا يتكلى مؤرخنا التوفيق المرفقي للقاء بل يسع في آخر الهوامش فإسراف وإفاهة للاملام والاصطلاحات التاريخية من دواوين وطرفا وملايس وأسطة وسنان وفنود ومولان ومكامل . وقد يزيد في أنواع الهوامش ، فيجمل واحدا للاملام والمفرق والمذهب والقل والتحل ، وأخر لأسماه الكتب المذكورة في متن الكتاب المخطوط ، كما صنع في « الإنصاف » .

وبحاول الشيال دائما أن بين القاري والباحث في كتابه الحق ولا يمينه بالحيرة في أسماء الاملام وما يستنبطها من كتابات والكتاب قد يشتر بها العلم فلا يعرف ما أصله ، فالخطية الأمين العباسي هو « محمد » ، والصلاح هو « أبو العباس » ، والخطية الأيوبيين العباسي هو « عبد الله » ، والملك الناصر صلاح الدين الأموس هو « يوسف بن أيوب » ، وبيرس البنفسادي هو الملك الظاهر ركن الدين وهكذا . فلا يسل باحث ولا قاري في التهدي إلى شخصية فسي الكتاب المخطوط يسرع بلفرة ، وأدنى جهد .

ولا كان يصح التساهل في من العصور يتساهلون في الرسم الإملائي ، فإن جمال الدين الشيال لم يتنقن في تحقيقه للمخطوطات بغيره . فإذا كانوا يكتبون (خاير) ، (وحازرة) بإياه بدلا من الهزرة ، فإن الشيال لم يتبع طريقته ، ودرسها على الأصول والقواعد المقررة في رسم الحروف وقواعد الإملا . وقد أشار إلى طريقته هذه في مقدمته كتبه حتى يكون القاري على سواء من الأس .

والأ الذي الشيال في أثناء تحقيقه لموضوع أجزاء المؤلف القديم ، فإنه يكلف نفسه شأن كثيرا بهادته إلى المصادر والراجع التي يمكن أن يكون الموضوع فيها قد مرلج معالجة وإليه . فقد أشار المفريزي في « الذهب المسبوك » الشيرة عبارة إلى قول الملك المقيم نوران شاه الفلوي واليمين . ولكن الشيال يحل في الهامش السى مراجع مطبوعة وخطية تشتمل على تفاصيل الفرو . ونصور أنت بريك أي جهد بذله الحق في هذا السبيل ...

أحب ارتعاشي ولهفي عليك
أحب الركون إلى مقتنيك
يطيب ويظن علي شفتيك
يفضل العنايا فتجنو لديك
حببي ولا ما بين الضمير
ويبين الجوانح حليم غريب
فها قد رعاني حين مرير
أمانتي تصبني وذكرى تثير
ومن سعيد الحياة لقلبي
هزيم يسعد مناقش درسي
فيصبو ويعينا لديني الصبي
ومن ساندني ومن سيلبني

سلافة العامري

أحب نساء حببي اليك
أحب غروري أحب هواني
أحب أنساب ضلوعي شعرا
أحب أنساب كلامك همسا
أنا لست أدري إلى م المسير
فانسي وإياك قيد النوى
أنا ان رعيت غروري زمانا
وغشت أجر جسر خيبة عمر
لمن ستهب أعاصير حببي
ومن سيلبي إذا ما التدها
ومن سيثني قصيدي رؤاه
لمن يا حببي سأشكو وأهفو

دمشق

التأديين في مقدمة الجزء الثاني ، وبعد ذلك تشجيما منهم وتقريظا .
ومن ذلك نقد أستاذ الدكتور زيادة ، ونقد الدكتور حسين مؤنس ،
ونقد الدكتور مصطفى جواد العالم العراقي ، ونقد الأستاذ « كسود
كاظم » في كتاب تاريخ الصور الوسطى في جامعة استراسبورج .
وما وجدت اليوم الشيبان هناك بل نقد كما فعل في نقد الرحوم
الشيخ أحمد عظمة شائق كتاب « نحل عبر النحل » للمفريزي في
مجلة « الكتاب » التي كانت تصدرها دار المعارف . ففي عدد فبراير
سنة ١٩٤٧ من هذه المجلة وفي ص ٦٤٢ رأينا الشيبان بعد الصدود
الموضوعي على النقد وفي آخر الكمال يشير إلى طريقة الشيخ أحمد
شائق فقال : « وبعد ! فلهذه بعض الأخذ التي أراي أخلاف فيها
الإستاد النبال » . وبني أن اشير إلى أن الأستاذ قد اصطنع لنفسه
عند النقد برجا عاجيا ، وفرغ - وهو يحدث من هذا اليسر -
أنه فوق كل الناس علما ومعرفة ، فهو يخاطبهم دائما كما يخاطب
الإستاد الكبير تلاميذه الجامعين أو البنتيين .. » . وقد شاء الله
أن أكون شاهد هذه الحركة بين عالين جليلين ، وأن يوفقي الله فيها
إلى الصلح بين الطرفين ...

بني أن نذكر ونحن من هذا الخيال على خواجيمه لماذا شغف
الدكتور الشيبان الأورخ الحديث بكتب المفريزي مؤرخ العرب والإسلام
ومصر في القرن التاسع ؟ فقد كشف لنا هو نفسه من جواب هذا
السؤال حين ذكر في مقدمته البديعية لكتاب « نحل عبر النحل » أن
كتب المفريزي الصغيرة الحجم تحتوي على مناقشة بعض نواحي
التاريخ الإسلامي ، أو عرض موجز لتاريخ بعض أطراف البلاد
الإسلامية ، أو التاريخ لبعض النواحي الاجتماعية والاقتصادية في
العالم الإسلامي عامة ، وفي مصر الإسلامية خاصة . وفي هذا الصنف
الثالث أو الأخير من كتب المفريزي بعد الرجل قليل من تاريخ الخلفاء
والقواد والسلاطين والأراء ، وطرب فيها قليلا من الفصح ومشكلاته
الاجتماعية والاقتصادية . والكتاب الذي أورخ للشعب وأهتم به وبمصلته
في أحب الكتب أليانا ، لأنها تؤرخ لنا ، ولتصور حياتنا تحسن
ومعالجة مشكلاتنا نحن ، فتجد فيها من الفؤاد ، والصبر ، ما لا يريده
في الكتاب الذي يؤرخ للحكام .

محمد عبد الفاني حسن

القاهرة

على أن ذلك لا يعنينا هنا أن نقول : أن جمال الدين الشيبان
لم يبلغ في ذلك كل ما نريد . فقد تولته أحيانا كلمات وحروف
لا يهتدي فيها إلى وجه من الحق . كالسم الأثير « سيف الدين
عقز نمر » فقد سجله في « الألبان كسود » هكذا ، أو قال عليه
في الهامش : « كذا في الأصل ، وهو في البديهة : فظنني » .
وكاسم ملك التكرور من أقصى بلاد الغرب ، فقد ذكره في « القصب
كسود » : سمرنداته ، وعلق عليه في الهامش بقوله : « كذا في
الأصل وهي في نسخة ل ، و ب : سمرنداته ... »
وهكذا تركنا في تحقيق اللطفا حائرين لا يهتدي فيها إلى أصل
يعول عليه . وقد كان الشيبان يحاول في كل كتاب يحقله أو يؤلفه أن
يليد من كل مرجع قديم أو حديث . ولكنه - لاعتبارات لا نعرفها -
قد يعمل اسم مرجع لا يعينه من العلوم أعماله أو أبحاثه . فحين
أصدر في سنة ١٩٥٨ كتابه من رفاعة رافع الطحاوي فاته أن يعمل
مراجعته كتابا نفيسا من رفاعة الطحاوي للرحوم الدكتور أحمد
أحمد بدوي أستاذ الأدب بدار العلوم ومشاركه الشيبان في شرف
الانساب إلى دعاب ...

وتتميز أسلوب الدكتور جمال الدين الشيبان في مؤلفاته ويعونه
ومعلماته ومقالاته باليسافة التامة والوضوح والهدم من الألفاظ
الإنساب والألفاظ . فلا دائما يؤرخ اللطفا السبعة المتداوله المألوفة
على اللطفا التي تفرق الآن بفراحتها . ولا نجد له لفظة معجبة غريبة
إلا في مقدمة كتاب « أمانة الإمة » للمفريزي . والقلقة هي
« لتتش » بمعنى : تزدهم وتعتلي . كما نجد في المقدمة نفسها
كلمة « حرمة » المتن القافية لكلمة Galoponne وهو الخطأ أو الرقش
الذي يوجد في آخر الكتاب المخطوط . وطوره في هذا الإنساب أن
شاركه في المقدمة وفي تحقيق « أمانة الإمة » هو أستاذ الدكتور محمد
مصطفى زيادة الذي يتناق أحيانا بالألفاظ في الألفاظ والمميزات على
سبيل الأطراف ...

ولقد كان الأورخ الحق الشيبان يرحب بكل ما يوجه ذلي أعماله
من نقد ، ولا يبتغي به . ويعتبره مونا على الإصلاح وتوحيه التوج .
وكثيرا ما كان ينشر هذه النقود أو يشير إليها كما فعل في نقد كتاب
« مرجع التكرور في أخبار بني أيوب » - ج ١ - . فقد أشار إلى

رمو وحلوه . فهي شتيق من اصل سابق ، ولا يوجد من عسدم
يعظمي من يرى في نفسه القدرة على ايجاد شيء من عدم .
والشجرة تنفتح وتنمو بفضل ما دكب في جيعتها من قابلية
لذاته وانتعشت ، وما تتناوله من البيت من ماء وغذاء وهواء .
وهي بعد ذلك تنضج ، ثم تهزم وتنشعب ، ولكنها تترك وراءها
ذرية نسلها ، حتى ورثها ولعمرها وخشبها ، وإن جف وتنازل وانحل
وتحلل ، فهو مادة تنقل وتغير ، لكنها لا تفسد . نعم ! في الشجرة
تمثل حقيقة الحياة الآلية المتطورة السرمدية .

وفي الشجرة كذلك يمثل خير الحياة ، فهي تمنحنا نحن البشر ،
وتمنع الغير وغيره من الحقيقة كلها النقيض ، ونسيجها الميسل .
وهي تمنحنا وتلغ غيرنا ، نمارها بالآلة الشمية ، ولكنها لا تمنع
بالكل والجنى على احد ، بل لا تدرى انها تسدي ممرودا على احد .
فهذا طيعها ، ما كانت الانجاز . ولو دوت وودت لها في الامر
خيرة ، لا اختارت ان تفصل قلبها على جسدها ، ولا تنثر الا مسا
تاكل ، لعرت من ورثها حتى لم تاكل جسدها ، وضمت حتى لسم
نظم لنفسها ، فانتحرت بيدها وترقى النوع كله . نعم في الشجرة
خير الحياة ، خيرها التناقل الطيق من كل قيد .

وفي الشجرة يمثل ، خير الحقيقة والغير ، جمال الحياة
ايضا . والجمال اشكال والوان وانماط وطعوم . فاشكل جميل تتناسب
اجزأؤه معا ، وما اثر التناسب في الشجر !

هو جميل حين تستبيب الشجرة اللون والنسيم بالشتي
والرطب والتسقيف ، واللون جميل مريح في خبرته ، وتوسده
تلاوين الزهور رونقا وبهجة ، وحليف الورق موسيقى عذبة ، ولقد
تصيحها زواهر الانسان ، وحق الزهور في الربيع له فعل الخرق
الطعوم .

فان سأل سائل : لم الجمال ، وهو لا يزيدنا فيها لمحيلة الحياة ؟
بل لا يطين الحياة ولا يقيها ؟ كمال الجواب : ان الجمال انما كانت
سعيدة تمنح الحياة قيمة فتصنع جديرة بان تماشى !
هذه هي الشجرة : مرة الحياة ، لجمال الحياة بل بشت الحياة .
ولقد ورثت من الام سجاياها الكلاش : فاحلقت لتلقى بالحق دون لسان ،
ونصنع الغير دون تكلف ، ونشج بالجمال بلا طعيب .
هذه الشجرة التي نرفسها اليوم ، فيها معنى يشير التامل ،
وامل يوحى بالجلد ، وقدمية توجب الفشوش !

وكتب سيد الحميد مثلا بعنوان « صفحة من مذكرات ديسك »
بمناسبة صدور الطبعة الثانية من « مذكرات دجاجة » للدكتور اسحق
موسى الصبيتي ، تلك المذكرات التي خلصت الدجاجة بيها الفراق
بقولها : « ليس لكم ان تشرؤا في بلد الاراضى ، وتشرؤا الفراق
بالفصوص لثقب وحده ، وتقتوا البالي بان يلفه يرده ... سيعوا
في الاراضى ، وتوزعوا بين الملقى ، وتشرؤا بينهم ككل الميسا ،
وبالذات السامية » .

وبما جاد في مقال « صفحة من مذكرات ديك » الذي كتبه سيد
الحميد فوله : « ٢٢ - ٧ - ١٩٤٣ » يتنازني اليوم فرح وحزن ، اما
الفرح لانه قد اصيبت لي رفيقة ورفقة في الحياة ، اناي بهما
وتناس بي ، وابادها المثل والحمد والرياعة . والفرح لظلمة
التي سمعت جاري تطالب بها الفراق عند الفطيرة ، ولرؤيتي اياهم
- والتمس قد اذنت بالفروب - ينادون البيت مودعين وكل منهم
يغم شقرا .

قد فالت جاري الشيء الكثير من الحق والباطل ، والفسل
والظلم ، والهوى والفسال ، فوميته واستسقت ولكن لم آح ولسم
استسبح انها وصفت تلك العالة الطائرة ، التي فرغت عليهم فرسا ،
بناها سيف واجب الاكرام والرياعة ، ولم ادر كيف يعوا الضيف

به لير فيه صيب بعيل !

كان جاري الطيد ، مثل زوجة العالة المظفة الشاعرة الرحمة
اليليلة المسقية ، يلين بالكل العليا ، ولكنه كان يغمتها الكرامة
والحمية والحفاف . كان عالا متصلا لا يحب القلم والعدوان ، ولكنه
كان يدفع الظلم والعدوان بكل ما دولي من فطرة وجلاذ . كان يرى
ان الدجاج ، وهو اصف من العالة لا يملك ان يعلمه المسند
والرحمة والتمتع ، اذ هي يعم هم ان يحلوا لوانها ويشروها في
الارض ، وقد كتبت عنه في هذا الراي .

٢٥ - ١٢ - ١٩٤٨ - مسكنة تلك الفراق التي هجرت بينها ،
ومسكنة تلك الدجاجة التي بقيت في البيت . اما العالة الطارئة
التي سكنته فلا اقول انها مسكنة . فالفراق تجوب الارض داجية
مبشرة . تلتقط الحب اتي وجدته ، وتشرط الله صلويا وكبرا . فسلا
تعدم ان تسمح شاكيا بقول انها تنازه الحب وتمكر عليه الله . مسا
حيلة الفراق في ذلك ، وهي لا تستطيع ان تشغل حوصتها بالذوعة
الى الغير ، ولا ان تروي لهاها بالتبشير بالكل العليا ! قد شغلني
نصارب الحياة هذه السنوات الاخيرة ، حتى من ندوين المذكرات
التي هو اصف اليبان .

يا لقسوة الحياة وما تحويه من جمود وجيروت ! نعم لقد
شغلتن من متابع ما يعل ببيت جاري القليد ، وما يصيب ابتاده
الفراق المشتتين في الارض ، فاقم الا ما يساقط الي من يباله في
الحين بعد الحين .

فمن هذه الايات ان العالة الطارئة تجري في البيت على سنن
صاحبة الاصيل ، وتسلك فيه مسلك مائله من الاقل الى الاكسد ،
فتضرب من صاله ، وتستقل موارده ، وترفع فيه عمادا ، وتلرب فيه
اونادا ، كما تشاء وتلوى !

ومنها ان جاري الزيمة مثلا رمت صالغ تلك العالة ، وكلنت
عونا لها على ما نالها ، آمنة ان يتبين لها وجه الحق والظلم والعمل
والرحمة يوما من الايام . ولكن هذا اليوم لم يات ولم يظن بالانزواء
والزريمة قد اعيها الجهد والهجم ، ولقدت بها السن ، فارتدلت هزلا
وخلا عن قلب ليل . ومن يدري فلما الان قد فارقت الحياة .

ومنها ان بعض الفراق قد اعداد التنازل فيما هم فيه من تجوال
وتبشير ، فاحلوا يفكرون في العودة الى البيت ، حتى ان واحدا
منهم او اثنين قد جادا بالمثل وانظلا موعها فريبا منه مشرفا عليه ،
يلتظا منه انه ، حين يتبين صواب ذلك . ان التبين بين الكفارة ،
واختيار أي منها ، تتجنب وايها تواجه وتنتقم ، لعمل يجمع يسين
البصيرة والشجاعة ، وهو من الفضائل . اما التهور ، والمقاونا انفسا
الى التهلكة دون تحير او حذر ، فمن الرذائل ، ولكن مثله من الرذائل
ايضا ان تتجنب الفكره جميعا دون تعييل !

هذه الايات وهذه الآراء ، حين اغصها بعضا الى بعض ، تشق
في طريها جديدا لتفكر والعمل : الفكر في العودة والعمل عليها .
وليت لي ان اوصل هذا الى الفراق جميعا ! ليت لي !

وكرب تابه له مكنته الزيمة في دنيا التربية يتوجه سيد الحميد
الى الله ويهتل بقوله :
« اللهم هبني يدا تعمل في بصيرة وراق ، وهبني قلبا يفيض
فهما وقوة ، وهبني فضلا طوفوا مالا !

الهم لا تجعل يدي مجرد اداة للتقليد ، ولا قلبي مجرد وعاء
للمشاعر ، ولا قلبي يركن لعشى التامل ، او يكفه جمع الحقائق
واستخلاص النتائج ! بل اجعلني اللهم انسانا يتسجم في كيانها
القل والماخفة واليد ، ليكون كل من العناصر الثلاثة هذه موزنا
وتكاملا للمهمرين الآخرين . ان اللون كله ملك ، والكمال كله لك .
انك على كل شيء قدير ، وانت علام الغيوب ، وانت الرحمن الرحيم !

رايتها فوفقت لرقابتها عدة وأنا أشعر بالآلم في نفسي لهذه المسكنة ، وبعثت إلى صاحب دكان هناك وقلت له : « يا سيدي ، أترى هذه اللغة العثمانية ؟ » فقال : « وما بها ؟ » فقلت : « أترى كيف أنها تبعث من شهرة تالكة ولا تبعده ؟ » فقال : « أكثر الكلمات يا سيدي على هذه الحالة ! » فقلت : « ولكنني لا أستطيع أن أصف هذه الكلمات كلها في هذه العجدة ، وإنما أريد أسفاه هذه اللغة بعينها : » فقال : « وماذا تتر ؟ » فقلت : « أدفع لك شيئا من المال ، وأرجو أن تستري به كل يوم شيئا تالكة هذه العجدة إلى أن تستعيد صحتها وفوقها ، ولعلها حينئذ تقوى على تدبير أمرها بعد ذلك ! » فأخذ المال مني وودع بأن يفعل كما طلبت !

نموذج من شعره : فرعى الأستاذ الكرمي الشعر كما فرسه والده الرحوم الشيخ سيد الكرمي وشقيقه « أبو سلمى » وله في هذا الصنف ومضات وشطحات منها الآيات التالية وقد نظمها في فرسته ببريطانيا ، وفيها نذكر لبعضين موهته للقصوب :

أنا على العهد مها شت نالتنا ، وأوسع الدهر حبل الوصل توهينا
وأصمت صور الأحاديث عاصدة ، أظهاها لتزيد الخطب توهينا
فلا الجهاد جبال أذكر نمدها ، ولا الأراضي بها شبيه لودينا
أرض أتيبت بها يومنا تماثنا ، وفي العصب أقد أميبت من تراقينا

نحن شوقا إلى تلك الربوع كما ، نحن إلى آلاف فانه حيلنا
وبنيت الرسم تغيلنا على الرى ، في اللحن من دقة الإيمان يكينا
حتى الحقيقة ما أثبتت لنا فضلا ، فكيف أحياتة نروي وتشيلنا
فلا الجبال جبال أذكر نمدها ، ولا الأراضي بها شبيه لودينا
ولا اللحن على الأشخاص نرفها ، كلفنا الناس ليسوا من أتاينا

٣ - برهان الجاني

المادة الأدبية التي سار عليها « برهان » ودرج منذ حداثة : « لا معنى للحياة بدون كتاب » « ولو دخل « برهان » الجنة ولم يجد فيها مكتبة لصاح من آؤه : « أجنة يغير كتاب ؟ »

وقد برهان في باقة ببلطسطين عام ١٩٢١ وأكمل دراسته الثانوية في الجامعة ببغداد ثم انتسب للجامعة الأميركية في بيروت ، ونال بكالوريوس في العلوم عام ١٩٤٠ فاستاذ في العلوم عام ١٩٤٤ وانتسب إلى الكتب العربي بالقدس عام ١٩٤٤ وعمل فيه بكل جهد وطاقة (١٩٤٥ - ١٩٤٨) ، وخلال إقامته في بيت المقدس درس الحقوق ونال دبلوما من معهد الحقوق الفلسطينية عام ١٩٤٨ . وبعد حلول النكسة الفلسطينية الأولى وتوحيد فلسطين الأردن نال من السلطات الأردنية امتياز جريدة باسم « الهدف » وصمم على الصدور الأول منه في بيت المقدس يوم ١٧ شباط ١٩٥٠ وأقبل على معالجة القضية الفلسطينية بأسلوب علمي متين .

وسرعان ما حقق برهان الصحافة وانضم إلى القطاع الاقتصادي وبين عام ١٩٥١ أمينا عاما لاتحاد التجارة والصناعة والزراعة للبلاد العربية فاستاذا للاقتصاد في كل من « الأكاديمية اللبنانية » و « الجامعة اللبنانية » و « جامعة بيروت العربية » و « الجامعة الأميركية » في بيروت .

من آثاره القليلة : بعد أن مل « برهان » السياسة آمن بسان البلاد العربية في حاجة حاسة إلى تطوير اقتصادي فاقبل على التأليف في هذا القطاع إيمانا منه بأن لغة الإرقام أفضل من لغة « البحتري » و « أبي تمام » ودونك بعض آله الطوبى :

- (١) محاضرات العربي . طبع في عام ١٩٥٧ .
- (٢) محاضرات من التنمية الاقتصادية للأردن . طبع في عام ١٩٥٧ .
- (٣) تحليل بعض أوجه العلاقات الاقتصادية بين البلاد العربية . طبع في عام ١٩٦١ .
- (٤) العلاقات الاقتصادية في الدول العربية . طبع في عام ١٩٦٥ .

راى نور الحياة في بلدة طوركوم ببلطسطين وتلقى تعليمه الأولي في زمن العهد العثماني بمسقط رأسه ، ثم انتقل إلى دمشق مع أشقائه وأفراد الأسرة حينما تبين والده الشيخ سيد الكرمي عضوا فسي الجمع العلمي العربي ، وهناك دخل مدرسة السلطاني أو مدرسة « عتير » كما كانت تعرف في الأصل ، وأتم فيها الدورة الاستعمارية ، وشهدوا منه بغيرورة التعلم في مدرسة فلسطينية ، تمهيدا للعودة إلى فلسطين ، بإرج دمشق إلى بيت القدس في سنة ١٩٢٤ ودخل الكلية الإنكليزية « كلية الشيايب » وأتم تعليمه الجامعي فيها وحصل على شهادة البكالوريوس الفلسطينية في سنة ١٩٢٤ وتعين معلما في حكومة فلسطين وعلم في مدرسة الإمله وفي الكلية الرشيدية والكلية العربية بالقدس ، وفي هذه الأثناء انتسب للدراسة في بلاد الإنكليز للاختصاص بالتربية وأصول الاحصائيات التعليمية ثم انتقل في سنة ١٩٢٨ إلى إدارة المعارف العامة بالقدس ، وعند زوال الانتداب البريطاني هجر فلسطين ثم عمل عليه مركز كبير في القسم العربي في هيئة الإذاعة البريطانية بلندن فقبله وانضم إليه كواول مركز شغلته هناك مركز المراقب الفلوي وظل خبيرا فلويا حول اللغة ، واستفاد من خبرته باللغة الإنكليزية في حقلي التعليم والترجمة فأخرج عددا من برامج تعليم الإنكليزية بالراديو ، وكان اهتمامه بالأدب ساعده على إخراج عدد من البرامج المعروفة وأشهرها « قول على قول » .

من آثاره القليلة : في هذه الأثناء عكف السيد الكرمي على إعداد قاموس الإنكليزي - عربي على أصول حديثة أسماه « قاموس أونفمنس Longman's Dictionary » وقد أتم هذا القاموس وتزوج كتابا بعنوان « خروج العرب من اسبانيا » وكتب مقالات المبدئية فسي مجلات الإنكليزية مختلفة وفي بعض النصوصات من اللغة العربية والأدب العربي والإسلام منها موسوعة « شمعون » وموسوعة « بيرو ولورد » وله سلسلة مقالات بلغت عددها أربعين معالة في المصطفية بعنوان « جيلة القضاة » نشر أظها في مجلة « الأدب » وسنتشر في كتاب كما سنتشر سلسلة « قول على قول » في ثلاث مجلدات و « حياطة لف » في كتاب مستقل .

وتتميز الأستاذ الكرمي باللغة بصورة خاصة وبالفلسفة خاصة ، والتأحية المصجيبة هي الغالبة عليه .

نموذج من شعره : « أقول في البلاد الأخرى ، والأحرى بي أن أقول في البلاد العربية » فإن الناس في هذه البلاد يفسمون الفظاظ فسين : فظاظ أحياتة ولفظا برة . واللفظاظ الإجمالية على لسين : فظاظ تعيش في التمام متعمة مرفهة ، وفظاظ تعيش في التوارع والأزفة ولا مأوى ، تلبس أبواب البيوت يطردها إنما وجدوها ويعبرها الأولاد كلما أجبا . وقد كنت أرى يام جيني كيف أن بعض فظاظ النلوب من الأولاد وفيرهم ، إذا ظفر بظف أو فلة من عسله الفظاظ ، أن يسكه من ذنبه ويوحه مرة أو مرتين ويغرب به بهتال أو صخر ، ولا يزال يفعل ذلك حتى يقتله أو يتركه الغرب إلى الموت من الحياة ، دون أن يجد هذا القطف المتكود الحظف متراكما من الناس على هذه الفظاظة التي تصيرنا من هذه الفظلة التسمية وأشاهلها . واتصل هذه القطف لوجوا أو بردا أو بيد مجرم من مثل هؤلاء الجرهميين .

وقد كنت دائما ولا أزال شديد الشغفة على القفظ لسببب نفساني من جهة ، وكثرة ما كنت أصادف من ألوان التعذيب والتجوع والتشريد من جهة أخرى . والذكر أنني كنت في زيارة لعدينة مراش في المغرب العربي في شتاء ١٩٥٨ ، فغوت في أحد التوارع فوجدت لغة سوداء هائلة في أحد الطريق على أشد ما تكون من الهزال والصفص ، ترتفع في منبتها قلعة ما في جسمها من قوة ولشدة ما بها من جوع ، كانت تسير وهي في هذه الحالة تبعث من شهرة تالكة فلا تجد شيئا .

نموذج من نثره : عالج برهان القضايا والتشؤون الاقتصادية والسياسية كما كتب في القصة القومية القصيرة التي هدف منها الى التوعية وبث روح التشجاعة والصبر على عوادي الايام في نفس الناشئة الفلسطينية ودونك قصة كتبها بعنوان « البيت الخزين » .

« لو سالت أي رجل في يافا ان كان يعرف محمد ابو خالد لاجابك قائلا : « لعلك تفتي صاحب البيت الاخضر ؟ » فلهذا استقر في اذهان الناس جميعا ان هذا الرجل وبنته كاتن واحد لا يتجزأ ، وحل قلب صاحبة البيت الاخضر محل ما نعرف عليه الناس من مثانة الرجل . يكتنيت به باسم عائلته . ولست اعرف اول رجل فهم بشعور غريزي هذه العلاقة الغريبة بين هذا الانسان : الكائن الذي المائل ، وبين بيئته الصخرية . ولعله في اللحظة التي اطلق فيها ذلك الرجل القلب على محمد ابو خالد كان هناك اشخاص آخرون قد ادركوا ان الشيء نفسه فوجدوا في القلب وصفا صحيحا لا كانوا يحسون به بينهم وبينهم انفسهم حول هذا الرجل . فقد كانوا كلما تناولوا محمد ابو خالد بالحديث اسرعوا الى القول بانه رجل شاذ ، ولكتمهم لم يكونوا يستطيعون وصفا دقيقا لا التعرف اليه لشدة ، الى ان وجد بينهم من تصاده (صاحب البيت الاخضر) فوجدوا في القلب رمزا قهقريا المحصول في هذا الرجل واجمعوا على اطلاق عليه .

وقد عرفت محمد ابو خالد معرفة تامة وجهيته به صداقة قوية وصحية ثابتة . عرفته قبل ان يكون صاحب البيت الاخضر ، ومع ذلك لو سالتني عنه أي انسان اناجته في القود « لعلك تفتي صاحب البيت الاخضر ؟ » ولعل هذا السؤال يخرج مني انا اياما يامل الفيزياء ومدون تفكير او فصد . فقلت اعرف لبا ينطق على صاحبه كما ينطق هذا القلب على محمد ابو خالد . وقد قلت له في يوم من الايام مقلدا : انظروا ان من يعرفون اسمك في يافا قليلون ، ولكن ليس في المدينة كلها شخص واحد لا يعرف (صاحب البيت الاخضر) . فاقبتهم لهذا الحديث وقال لي في هدوء ودونته « انهم في ذلك على حق ، ولعل هذا القلب الذي يطلقونه لجير في الحقيقة من اعطاك ما في نفسي » انه يصيغني بشكل ابعد فورا مما يفهمونه منه ، تصوري ما احيه من هذا القلب . . . احب كلمة (صاحب) . بالطبع يفهمها الناس على انها تعبير ضمن النطق والتصرف ، ولكنني اجهها انا بمعنى الصحة والصداف والرمال . . .

نعم يا اخي انا صاحب هذا البيت لانني احبه ، وانس اليه ، واطمن في ارجائه . ولا اعترف بأي نوع آخر من الصحة بيني وبينه « وسكنت حويلا ، وبدا على وجهه صلاء جميل ، وتاعت ميتة كلته يعقل في شيء بعيد ويتحلى من عقول من الجبال قد حبيتني ، لم قال « ليس غريبا ان يبعد الانسان ربه داخل البيت . » فقد ينسى الانسان العباد والحياتل ، ثم التقاتلي والساجد ، ورائق فيها من الجهد والمال . لا يوصف ، ليمجد الله في داخلها ، بل قد سحها بيوت الله . . . وليست هذه التسمية نوحا من الميت ، هو سلم الفيصل ، بل هي تصيب الحقيقة في الصميم . . . انني اشبه الروح الجالية بطير ان يبعثه الخبيرن فيظل معلقا في السماء الى ان يرى مكانا جليلا يستقر ان يتنزه فيه . فيزلزل من طياته ولا يرتاح فهو لا يتنم ولا يكتسل ولا يشرب فهو لا يبعوض ولا يعشش ولكن ليسيف الى ما اطعمه من الجبال قداسة خاصة بصوره الاياثر فيه . . . وقد بنيت لعابد الجبيلة والمة ليسكنها من قدسات .

اما البيت الاخضر الذي عرف به صاحبه ، فهو بيت صغير جميل يقع ابو مرتفع من تل اريش خارج مدينة يافا بقليل . وقد عرفت محمد ابو خالد اول مرة عندما اكتنيت به صداقة على ذلك التل ، وقبل ان يجني بيته المشهور ، وما ذكرك الاكرك ذلك اليوم . وقد التفت في نفسي بالفروج من المدينة ، فمرت بين يديها مخرقا مسكسة درويش الى ان وصلت الى ذلك التل الجميل . وكان اليوم راصا .

وقفت في اعلى نقطة من التل اسرح نظري ببعد في مجالي الطبيعة تلك اشجار البرتقال الجميلة لتصل بيني وبين يافا ، وذلك هو البحر الذي يستدعيه بلونه الزرق الصافي عند نهاية الاشجار . وفي وسط هذين البؤزين الزميين ، كانت هذه المدينة الوديعه اريش . واخترت اتباعي بغير شوارعها ومسالكها التي اعرفها حق المعرفة : ذلك شارع التزهة ، وهذا شارع المعجري ، وهناك شارع الطوفة . تلك هي البصمة وذلك مستقر الجاني ، وهذا دي الابداع . وفلتت فريسي ان هذا المكان لم يخلق الا لينيبي بيت يدعى على هذا الجمال ، ونظرت حولي ، فاذا رجل يبدو عليه انه غارق في تأمل ما يحيط بهذا المكان . وحياتي بنسي ، من الخجل ثم قال وكنته يقرأ ما يجول بقلبي : « لا ترى ان هذا المكان لم يخلق الا لبيت يطل على ما حوله من جمال ؟ » قلت بلى ، قال : « هنا ساكني ذلك البيت » ، « انني لا افهم لماذا لم ينسب لهذه البصمة احد من قبل ، فليس فيها اقل مسكن واحد . . . على أي حال هذا من حسن حظي ، فلو كانت مكنته بالمكان لا اجنتها » قلت له « لصل سبب ذلك ان جمال هذا الكون ينفصل في ذهن الناس ، بذكريات الية واساطير غريبة » قال « وما لك ؟ » قلت « ان الناس يتفهمون ان تسمية هذا المكان ببيت اريش التي هي تعريف لاسمه الاصلي وهو تل الرووس . والاسم الاصلي هذا اكتسبه التل ضمنا احتل نابليون مدينة يافا واسر حاميةها المكونة من خمسة الاف جندي تاريا وجاء بهم الى هذا التل واجعل عليهم ودنوا في ارجائه . ويقول الناس ان الدروع الهائلة لواء الشهداء الايام ما زالت تسمع متجولة في هذا المكان ، وما زال تيتها ببيت اريش والوقوف » ولاحظت اجمعا من مسهلا الصديق وتعامسه منه . ورويتني نفسي على التكلم بهذا الشكل بعد ان اخبرني الرجل من عزمه على بناء بيت لنفسه هناك ، فقلت متدركا ومسلما « انما هي اساطير سفلية وما قصدت به سوى مجرد الكلام . . . ولكنني اعتقد ان السبب الحقيقي لظفر هذا المكان من المكان هو بعده من المدينة وعدم وجود طرق جيدة او وسائل للمواصلات لتصل بيته وبينها . » ووافرتنا زمتا .

وايضا في بناء البيت يشنخاف لا مثيل له وكان يعطني في كل خطوة عقول بها في هذا السبيل . فوضع تصميم البيت بنفسه وقد فكر في ذلك لي بقوله « انما البناء نوع من الخلق والابداع ، ينشئ مع فكرة معينة . فان وضع الفكرة فيكون ليس خلك ولا ابداع ، ولكنه خلق ذلك الآخر . والبيت الذي تصمم بنفسك احب اليك واسلا الى ما في قلبك من فراغ . . . مثله مثل ابنك فقد يكون اقل حبسا ونجاسة من ابنه سواء ، ولكن له ابداء في نفسه موقعا خاصا .

وعندما شرع في البناء اخذ يشترط في نفسه : يضبط النفوذ ويعين الواقع ، يجيل الفين ويعمل المصارة ، ويراقب كل شيء بنفسه . وكان يمل ذلك مزجها سعييا ، ويفسر بقوله ان العمل هو الشرف ما في الحياة . هو ليس ضرورة للحيث فظ بل هو ضرورة نفسية . واخلاصة له في ذلك الراهقته بنفسه ومنه يستمد كثيرا من كبرياله . . . ان العمل خلاق وليس في الحياة بهجة كذلك التي يشعر بها اهم صلاتها عندما يوجد شيئا من العدم ، بالانسان به شيء الهي ، ومن اهم الصلات التي انا خلق ، ومن هذه الصلة تجد الانسان يتصرف نزوحا لخلق والابداع تشبها بالقوة الالهية التي اوجده . . . والخلق تنبع الفكرة التي ، فهي تفعل الخلق والتصميم ، ثم تطلق قوسا لروية هذا التصميم متحققا في الواقع ، لتتدرك القوة التأسيسية الكاملة كلها لتحقيق الفكرة وتجد الناس فرسا عظيما كلما رأت العمل متجها نحو تحقيقها .

ولم بناء البيت ، وما عرفت في حياتي بيتا اعمل منه تصميما ولا اكثر طاعة للواقع الذي اقيم فيه ، متعا نظرت اليه لاول مرة بعد اتمامه قلت في نفسي « لقد كان هذا التل الجميل قاتمة التشتال التي لم تتوج بالتمثال الذي اعدت له ، فقلت نائمة مشيرة الى ما فوقها

صراخ

الازهار البالية في زاوية الجدار

سخرية الامتتاعي المربع

في شلال المتجمد

يلتهم الحياة ، يعضق قلبي .

الهوة ... الهوة !

حينما اجر اذبال ضجري ...

اتوق الى اللاشيء

التلاشي في سبات عميق

وفي حصرة الوحدة السوداوية استيقظ

كل شيء يهرب ، كل شيء يش

كل شيء يسيح في احضان الريح

آلاف الافكار القائمة تصرخ فجأة

وتنصع برعشة حين كل المثل

هناك الطبيي

حب

« كم كنت احب او بعيت في بيتي » واستمرت ادافع عنه السي ان يتهدم فرقي يطوق به وادخل بين انقاضه . لتهدم فلانوا في بستان السالة لا تفتح ، لا تفتح الجويش العربية بعدما ان تدخل المدينة ومعهم الجنود . لقد تركت بيتي وودعت والدي والى اني ساعدت بعد بضعة ايام . بعد اسبوعين او ثلاثة على الاكثر ، ولكنه لم يكن مقتنعا . كان ينظر الى نائرة المم وعقاب ، وكأنه كان يسألني لماذا اوجدت مسن المدم ما دمت سائرته . ولكنني كنت كالكحول فلم افهم شيئا . بل فل التي كنت اتاجيا جبالا . فقد فكرت بنفسي فقط ولم افكر فيه . فكرت بكبريائي ففكرت ان يشعل العدو المتعمر ، وفكرت بشرفي ففكرت ان يسهل العدو التشوان . ولكن غاب عني ان كبريائي وشرفي هما في ذلك البيت الذي تركته . غاب عني ان نمرع العدو في بيتي انما عار متجدد يلحقني في كل يوم وفي كل ساعة . انني لاصورهم بيجولون في الامان التي كنت اعتبرها رمزا للقناعة والفتوح ويزولون فيهمسا القهقهات الساخرة ، ويمنسون ارجاعها بغيرهم ... وانني لاصور هذا البيت الطيب الصدقي مثلا ماليا . وانني لاطم الان ان بقائه لا يفيده في شيء بل يعني استعوار الآلهة وزنادتها . وسكنت طويلا فلم اجرا ان الطلع اسكون مظلم ان ازيد في تهيجك والله لم قال فجأة « حسبل قلت بقاء فهمت كل شيء ونظرت اليك نظرة صليح ونفسحية » . واصابني قلق شديد ، فاتي ما افهم ما كان يرمني اليه صديقي ، وخشيت ان يكون حققة قد اخفقت وقلت له باستغراب « من هي ؟ ماذا تعني ؟ » فقال بدهوء « كانه فهم خشيتي واراد ان يهتني » انما قصدت فريست التي كبرت وجعلها وفلتها بيده : الم نعدتني منها يوما ؟ قلت بلي » وسكنت ، وانفرتا ، وكان ذلك آخر مهدي نه .

فيل لم بعد ذلك بان راديو اسرائيل اذاع بان مجيول تسرب من المنظمة العربية ففعلت بيتا في تل الرش على من فيه من الاسكندر اليهود ، وانه وجدت بين الانقاضي جثة شخص يعتقد انه هو الجاني .

البديي الملم

عمان - الاردن

من فراغ . وقد جاء هذا الطبيب كالمشال المتضرر من زمن بعيد » لقد كان آية في كل شيء . ودعاني الى زيارته فطهيت وجلسنا للحديث وقال لي « ان الناس يهونون حينما يفتقدون ان الحياة لا تكون الا البشر . فلي وسكت ان تحب كل شيء فيها حولك ما جعله الله . وقد يتفرد بعبك شيء واحد بينك وبينه صلة خاصة كشجرة وحيدة في سهل واسع او فريد معين او مكان خاص ولا خشك في ان الحب يكون اعظم عندما يكون الشيء الذي تعبه من صنع عقلك وخيالك وديتك .. اما انا فان محبتي منصرفة الى هذا البيت الذي تراه .. وقد نصفتك متي ولكنني كثيرا ما اعطيه كالنا حيا يبداني حيا بهيبا وعطفا بهيبا . كثيرا ما انصوب الابواب والجدران ينتمس لي كثيرا ما اتخيل الموقد تسري عني وتشتجي ، كثيرا ما يدور في خاطري ان الشبابيك تنفتح بي وهتهم بصمتي .

فلت له متفلسا ، او محالوا مجارته على مستوى تفكيره وخياله « اني استطيع ان افهم تماما محبة الانسان لا هو ليس بشيء ، وانسي لازدي لك على سبيل المثال حادنا وقع لي شخصيا . فقد كان متسدي فرس في غاية الجمال والاخلاص ، ابتعثا وهي رفيع وريعتسا ، وعشيت بها بنفسي . تماما كما كنت نل مع بيتك . وقلتها كما دلل هذا البيت . وكنت احدها واتوهم انها تعمني ، واغسر حركاتها انها اجابة لكلامي . وكما كبرت ودتها وصرت احب بها كل يسوم في نزة طويلا ، وبقيت اليها صديق لي بشري معي وبشارتي فيها بجر بي من عواطف وخواطر » .

فبان عليه الضرور وقال منبسا « واين فرسك الان ، فاني احب ان اراها ؟ » قلت « لقد ماتت ، او الاخرى فقد تشلتها بيبي » فلي احدى المرات بينما كانت تعود انزلت رجلا في حرة مفيدة فالتكرس ، ولم يعد من الا لافان لا يمانعا لا يبعها بشيء ، بل بعني استعوز اناها ولا مكانية حلقا لتسلطها . ما زلت اذكر الي انني اشد لا حبل بها وتصمعي على التلافا بعد دلفة وتدد . ما زلت اذكر كيف وضعت السمس على جبينها وخيل الي انها فهمت كل شيء ونظرت الى نظرة صليح ونفسحية . لم اطلقت الرصاصة ففرت على الارض وانتهى كل شيء » .

كنت متفلسا في تلاوة القصة فلم الحظ ما كان يرسم على وجهه من المم ... ولكنه فجأة جفل ، تماما كما فعل يوم اخبرته حسن قصة التالين وادركت منها انني اخطأت لقرة التالين ، فهاولت ان اصلي فخا ، وقلت له « هذا هو الفرق بين التعلق بالاشياء العيسية والاشياء التي لا حياة فيها . فالاولى تتلف ، اما الثانية فانها تبقى ما بقي صاحبها ، بل تلام اجبالا واجبالا » ولكنه كان متهم الوجه فلم يجيب بشيء . وجاءت الحوادث الاخيرة ، فلان المكان الذي يقع البيت الاخير فيه اهم موقع للدفاع من بالا . واذا كنت تسيير بعد ابتداء الحوادث ببعسة اسبوع فلان رجل شمت لتسمر يلبس ادية التالين بناديني ، ولم عرفه بادي الاسر ، ولكن عندما التريت منه وجهته صديقي صاحب البيت الاخير . قال لي « ما انت لسم تعرفني يلباس اليدان ، ولكننا نتحارب ، ونصعد العدو ، ونلقي به ادخ الحضاير . لنذ نلر شكله ايضا وهو اليوم متلي يرتدي ملابس اليدان » وكانت تاته الفكر مشغولا بامور اخرى فلم افهم لازل وعلمة ما يعني وللت له « من هو ؟ من تعني ؟ » فاجاب فاحكا « البيت الاخير السيت ؟ انه يساوي خمسين مائلا . انه بيت شعاع » .

ومرت الحوادث بسرعة لا مثيل لها ، وخرجت من مدينة يالا بعد ان فقدت الامم في امكان حمايتها والدفاع عنها ، ونسيت امر صديقي محمد ابو خالد في تلك العاصمة الاخلاصية من الحوادث والعواطف . وكنت مرة اسير في احد شوارع بيروت فلان به وجهنا لوجه امامي . وكان يدلو عليه الم شديد يشبه الياس ، بل جرد منه . سلم على والثاني اذى مقهى غير مفروق واخذ يمددني من الله وهوموه . قال

في

ليلة من ليالي هذه الايام
الاخيرة من ديسمبر ،
ايام الوداع والرجاء ،
وداع عام مضى ورجاء
عام جديد ، جلس انسان وحده في
حجرة باردة ، فطسه بارد ولكنها
حارة الذكريات .

انسان وحيد جلس يكتب فلم
يستطيع ، ما يحبه قلبه لا يستطيع
ان يكتبه ، وما يكتبه يجده بعيدا
غريبا عما في قلبه وصدره . مما
يكتبه يجده باردا كصورة الحريق
واللهب والبركان على قطعة من الشمع
الملون ، وفي شعر هندي يقسال :
« مات المعنى الذي حين احتواه
اللفظ » . وفي الانجيل يقال :
« ينطق اللسان ففلة ما في القلب »
انسه يجلس الى الراديو يدير
مفتاحه ، ينتقل به من الشرق الى
الغرب ومن الشمال الى الجنوب ،
فلا يسمع الا الرقص والفسياء
والموسيقى . الاحاديث لا يسمعا
ير عليها في مفتاح الراديو ، كما
ير الشباب في السحاب .

الدنيا كلها تعنى وسط هذه
الملبحة البشرية ، والناس كلهم
يرقصون على دقات «الجاز» الماحب
وعلى انغام الفالس الهاديء الناعم
كاحلام الصفاء في آخر الليل ،
وبعض الناس في هدوتهم وسمت
وقارهم وصفاء قلوبهم ينشغون
ويرتلون . اولئك هم المتوجهون الى
الله في السماء .
ايها الصاخبون الراقصون على
الجاز والفالس ، خذوني معكم . انا
انسان وحيد غريب في هذه الدنيا
انسان يريد ان يعيش وان يعرف
الحياة وان ينطلق بعد حبس طويل .
يريد ان يفرح ويقتز ويبتهج كما
تفعلون . ثم يلقي جسمه المنهوك
في الفراش بعد المرح الطويل فينام
وقد حل في قلبه السلام .
ايها المؤمنون الخاشعون المرتلون
المتوجهون الى الله فسي السماء ،
خذوني معكم . انا انسان يريد ان

يهذا وان يعيش وان يهيب قلبه
الصفاء والنفاء بعد سواد طويل ،
يريد ان يتوجه الى الله يتأمل
ويصلي ، قد انصرفت منه دنياه
ويش منها ، يحبها ويريدها ولكنها
لا تريد . قد اشقاء ادبارها ولم
تقبل عليه مرة ، فهو يريد ان يملو
عليها ياسا منها ، وان يتوجه الى
ربه مثلكم يرسل ويتأمل ويصلي
ويتأمل حتى يهيك جسمه كما انهك
الرقص جسم الراقصين فينام وقد
حل في قلبه السلام .

انه يسير في الطرقات ويركب
ما يركب الناس ، فيجسد الشاب
والفتاة والمعجز والصبي كل قد
امسك هدية لي يحب قربان حبه ،
الورد والازاهير يحملونها يضمونها

انسان وعيد في المير

مهداة الى الاستاذة الزيات مترجم (الام غفر)

بقلم محمود الشرفاوي

الى صدورهم ضمة العشق .
ويرى الناس قد اذهلهم الشقاء
واستولى عليهم العيش فلا
يتحدثون ولا يفكرون الا فيما ياكلون
ويكتسون ، ليس لهم حبيب ولا
يريدونه ، ليست لهم زهور ولا
قربان ولا يريدونها .
ايها الماشقون السعداء يحملون
الهديا ، خذوني معكم .
انا انسان وحيد يريد ان يهدي
الى احب شيئا ، يهدي اليه قلبه



وحثانه وحبه وحاضره كله ومستقبله
كله .

يلي . لقد اهدى الي من احب هذا
كله وفوق هذا كله ، ولكن من احب
لسم يقبل منه ما اهدى ، وطرد
الرسول وانصرف منه كما انصرفت
عنه دنياه ويش منه ... من
حبيبه ... انه يحبه ويريده ،
ولكنه لا يريد .

قلبه وحثانه وحبه وحاضره كله
ومستقبله كله ، لا يريد ، وفوق
هذا كله لا يريد .

ايها الحاملون الهديا والازاهير
الى عشاقكم ومحبيكم وازواجكم ،
خذوني معكم .

اني اريد ان اكون واحدا منكم
فاخذني الى حبيبي خيرا مما تقدمون
... مع قلبي وحثاني وحبي ، فاذا
رسمي عن هديتي وتقبل قرباني ملا
قلبي الفرح وشمع راسي فوق كل
راس ، واتعيني حمل السعادة فانام
وقد حل في قلبي السلام .

ايها الاشقياء التاصون : خذوني
معكم .

انا انسان وحيد اريد ان اعيش
ان ايتس وان اشقى حتى اذهل ،
وحتى يموت في قلبي الرجاء من
كل شيء والامل في كل شيء ، وان
يستولي على جهد العيش والفكر
فجسي اكل وما اكتسب حتى يرهق
جسمي الفكر والجهد فانام وقد حل
في قلبي السلام .
رايتكم من قبل في كثير من مثل
هذه الايام الاخيرة من ديسمبر ،
ايام الوداع والرجاء .

رايتكم من قبل ايها الراقصون
والمرتلون والماشقون والذاهلون
بالشقاء فلم اطلب ان اكون منكم
لاني كنت ارقن اني ساكون خيرا
منكم منتما تقبل على دنياي .

دنياي كانت اخي الغائب حتى
يعود والقلب الذي رجوته وامطقتيه
واحبتيه وارقتيه ، وصبرت على
ما لم يصبر له الصابرون حتى يكون
معي ، حتى يكون لي وحدي .

أنا وأسي وغدي

فوق لبح غاضب
ففرقنا
أنا والأسي ، ولم يسلم غدي

ومضت بضع سنين وليالي
وأنا
وأنا الميت هنا
اختفى خلف ظلاي
قد جعلت الفد تابوتا وأسي كفنا
لست أندري
أنا الراقد هذا أم خيالي

لقد أضعنا كل شيء
وفقدنا الزمان
والصبا
والوطن

صفاء الحيدري

نقداد

وليال وسنين
مثقلات بالحنين
كان فيها شاهدين
أنجم ترمي ليل كصغير الحاقد
لآلات وانفطات

واختفت خلف غلاف جامد
بين افق ، وضباب ، وسكون
ودجون
فدفنا
أنا والأسي بقبس واحد

فلست للهوى
هنا يا قاتلي
فوق هذا الساحل
قذف الموج بقايا غارب
لم يجد نجما به قد يهتدي

فلما أفاق وقضى لآخيه بعض
حقه تلفت فاذا الحبيب الذي كان
بقي . ما بقي . . . ! سلك بنفسه
في زحمة الحياة وخلف القلب
الوحيد لا رجاء ولا عزاء . وشق
الطريق لذاته لم يتلفت .
الركب بعيد ، وهو منه متفرد
وحيد . ما بقيت به قوة وليس
حولته سوى الظلام والوحشة
والاحزان وذئاب الطريق ، وفي قلبه
الحشرات الباقيات ولا أحد معه .
أيها السعداء الذين أرى مواكبهم
واسمع رقصهم على « الجواز »
الصاحب و « الفالس » الهادئ
الثام كاحلام آخر الليل ، والذين
يقفون هذه الأيام الأخيرة من العام ،
أيام الوداع والرجاء ، ثم ينلمسون
وقد حل في قلوبهم السلام .
خدوني معكم . . !

مصر الجديدة محمود الشرفاوي

لي ذنباي . وما كانت ذنباي لي حتى
يمود .

إنسان وحيد في العيد
كان يسير في ركب الحياة معه
اخوه وحبيه . . . زوجته . . .
لا يريد غيرهما ولا يرجو ، فقط
اخوه والركب يسير . فتخلف
بقضي حقه بوأريه ويكيه ، وقلبه
يتوجه الى حبيه الذي بقي يرجوه
لا سواء .

يتوجه اليه بالرجاء والعزاء ،
يريد وحده لا يريد غيره ولا يرجو .
وماذا يهمني من الركب وليس لي
فيه . . . !

— انه القلب الذي احببته — معي .
وأنا به مع الركب وامامه استبقته
واعلو طيه . ونحن وحدنا القافلة
والركب والحياة والدنيا لنا ، أنا
— معه — غني عن جميع الناس .
انتي به غني عن العالمين .

وكننت في سنوات كثيرة اجلس
في هذه الأيام الأخيرة من ديسمبر
واسمع وارى مواكب حياتكم أيها
السعداء ، فابتسم ، ستقبل ذنباي
وأغدو خيرا منكم يوم يعود لي أخي
البعيد ، ويوم يكون القلب الحبيب
لي وحدي .

ثم جاءت الأيام الأخيرة من ختام
هذا العام ، فاذا الاخ البعيد لم يعد
وان يعود ، وإذا القلب الحبيب قد
رد علي — مطرودا — قلبي وحناني
وحبي ، واختار ان يكون لغيري ،
له وحده ، وأني احبه وما كرهته .
في هذا العام اجلس وحدي نسي
غرفة باردة ، طقسها بارد لكنها حارة
الذكريات ، اسمع وارى مواكبكم أيها
السعداء ، ولكنني لا ابتسم . لن
اكون في يوم ما خيرا منكمس ولا
أحدنا منكم ، ان أخي لن يعود ،
والقلب الحبيب لن يعود ، فلن تعود

وتتلخص عدد غير من ابرز مفكري الاندلس وعلمائها : زرياب وابن حزم ، وابن مرة ، والغزالي ، وابن شهيد ، وابن زريقون ، وابن عبد ربه ، وابن رشد ، والكثيرون غيرهم من اهل العلم والادب والفلسفة . وبهذا حملت قرطبة مشعل الثقافة فترة غير قصيرة ، حين كانت اوربا ما تزال تنتظر فجر الانبعاث العلمي والحضاري .

ليس من شك فسي ان فترة الحكم العربي فسي اسبانيا - رغم كل ما يمكن ان يقال فيها - كانت خيرا ونعمة على الغرب بأسره ، وقد جعلت من اسبانيا وعاء ثميننا تنصب فيه حضارة الفكر ومدنية المجتمع ، كما جعلت منها جسرا عظيم الاهمية لنقل الثقافة والمدنية الى اوربا . لقد كانت اسبانيا حينذاك يدا تتلقى العطاء الحضاري سخيا رخيا ، ويذا اخرى تمتد بدورها بالعطاء السخي الرخي الى الغرب بعد حين . فاوروبا كلها مدينة بنهضتها لاسبانيا : فهي القاعدة ، وهي المنطلق الاول للنهضة الغربية .

وانه لمن حق اسبانيا ان تنظر باعتزاز قومي الى تلك الفترة من تاريخها ، وان تعتبر كل ما ظهر على ارضها في عهد الحكم العربي فضلا من عطائها الاسباني - العربي ، وجزءا من اعظم اجزاء تاريخها الماضي ازدهارا : فالواقع ان قسما كبيرا ممن خدموا الفكر والحضارة فسي ذلك المسمى في الجبانية كانوا ممن ولدوا ونشأوا فيها : ممن مواطنيها العرب والاسبان معا .

ان حضارة الفكر الاندلسي لهي عطاء مشترك : ساهم فيه الاسبان مع العرب مساهمة كبيرة . لقد اعطى العرب الاسبان واخذوا منهم ، ويتعاون الجميع نهضت الحضارة الاندلسية ، وازدهر الفكر الاندلسي . وممن المؤكد انه لو كان العطاء والبناء من جانب واحد فقط لما كان في الاندلس ذلك الازدهار الرائع في الحضارة ، ولا تلك النهضة الفكرية المدهشة . اقول هذا وانا اعلم حتى العلم ان التأثير الاكبر كان للفكر العربي الاسلامي الذي دخل مع الجيوش العربية ، وتكامل بعد الفتح ، ولقي استجابة سريعة وتعاونوا كثيرا من السكان الاصليين ، ثم لقي مع الزمن اقبالا عظيما كذلك من شعوب البلدان الاوروبية المجاورة . وبذلك اتسع مدى الاخذ والعطاء اسعلا عظيما .

حين جاء العرب الى اسبانيا كان لهذه البلاد ثقافتها المسيحية ، وكان فيها عناصر باقية من الحضارتين الاغريقية واللاتينية ، تتمثل كلها في سائر مجالات الفكر ، والفن ، والمعماري . وفي المسيحية والاسلام عناصر روحية مشتركة عديدة : كلنا الديانتين يؤمن بالله ورسله وانبيائه واليوم الآخر ، وكلناهما تعبد بالوثاب وتلتذذ بالعقاب ، وكلناهما تستمد قوتها من السماء ، وكلناهما تصدر عن مصدر



عيسى الناعوري

بين الفكر العربي والاسباني

بقلم عيسى الناعوري

...

في اعتقادي ان اختيار مدينة قرطبة مقرا لمقعد هذه الدورة السادسة لإبحاث الثقافة العربية الاسبانية ، لم يكن الا تكريما لهذه المدينة التي ساهمت مساهمة كبيرة في حضارة الفكر الاندلسي المشترك ، والتي كانت يوما من المراكز الكبرى للثقافة في العالم ، وهي اليوم احد مراكز الثقافة المصرية ايضا .

لقد كانت هذه المدينة اول مركز للثقافة العربية الاسلامية في الاندلس ، وظلت على ازدهارها الفكري طوال الفترة الاولى من الفتح الاسلامي . فلما قامت فتنة البربر في اوائل القرن الحادي عشر اليلادي - الخامس الهجري - قضت هذه الفتنة على ازدهار قرطبة وعمراتها . ومن هناك تفرق علمؤها وشعراؤها ومفكروها ، وانتشر ما كان في قصورها من نفائس الكتب ، فكان ذلك عامل نهضة وازدهار فكري في سائر انحاء الاندلس : فسي طليطلة ، واشبيلية ، وبلنسية ، وغرناطة ، ومرسية ، ورنده ، وفي كل جهة اخرى .

في هذه المدينة ، وفي معاهد الثقافة فيها ، ظهر

(هـ) نص المعاصرة التي للثقافة المؤلف في مؤتمر الدراسات الاسبانية العربية السادس في قرطبة يوم الاربعاء ١٨ اكتوبر ١٩٦٧ .

أراني واحد - هو الله - وتصب في مصب واحد - هو الحق ، وكتلتهما تدعو إلى الخير والرحمة والإخاء الإنساني . وقد تختلف بعض الوسائل والمسبل ، إنما تبقى الأصول واحدة . ومن هنا كان لا بد من استجابة متبادلة بين الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية ، ومن تعاون مشترك بين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي . وكانت أسبانيا هي البوابة التي اجتمع فيها المعتقدان الروحيان والفكران فترة طويلة من الزمن ، وانصهرا معا بنار واحدة ، فخرج منهما مدن كريم آخر هو الثقافة الأسبانية - العربية الأاهرة . وبفضل امتزاجهما هذا ظهرت على أثرهما النهضة الأوروبية الكبرى ، مبتدلة بإيطاليا - جارة أسبانيا والمتأثرة بها تأثيرا مباشرا واسما .

وما كانت الثقافة المسيحية - قبل عهد الحكم العربي في الأندلس وفي اثنتائه - كافية وحدها للاندفاع بقوة نحو الأذهار : فالأذهار يتطلب حربة كبيرة في التجاذب والتفاعل المعكرين ، والفكر المسيحي كان حنسي ذلك الحين ينحصر في الإدارة وعلى أقلام الرهبان والقسس ، وكان العالم المسيحي خاضعا لسلطة الكنيسة . ولهذا كان الفتح العربي الإسلامي خيرا ويركة للفكر المسيحي والفكر الإسلامي على السواء ، لأنه أتاح لأمم الناس - وليس للكثيرين وحده - أن يشاركوا في اكتساب الثقافة والاستزادة منها دون حدود ، كما أتاح حربة التجاذب والتفاعل مع الفكر الإسلامي الجديد فوالله أعلم بجراحي حربة الانطلاق لدى الجانبين . ونحو هذه حيلة الحركة لدى المفكرين المسلمين - ومن دخلوا في الإسلام - من الأسباب - كابن باجة ، وابن حزم ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وكثيرين غيرهم ، كما نجد لدى سكان البلاد الأصليين من المسيحيين واليهود الذين تأثروا بجو الحرية . قلت أن إعطاء الفكري والحضاري كان مشتركا متبادلا في الأندلس . والواقع أن العرب الذين حملوا إلى هذه البلاد علوم الدين الإسلامي ، وعلوم الثقافة العربية وآدابها ، ثم أضافوا إليها بعد ذلك مختلف العلوم والفلسفات ، كانوا يحملون عناصر قوية خيرة لحضارة تتطلب التكامل ، وتنشد التعاون على إنائها وانتشارها . وقد وجدت ههنا التربة الصالحة للفراس الجديدة ، ووجد كذلك التعاون الواسع معها ، والاستعداد الشيط لتلقيها وتميبتها . وما كان يمكن مطلقا أن تفرض الحروب والفتوحات وحدها حضارة معينة على شعب من الشعوب ، إذ لم يكن لدى ذلك الشعب استعداد للتجاوب معها ، ولتغلبتها ونماؤها ، وأكثر من ذلك ، إذا لم يكن في تربة ذلك الشعب نفس عناصر أصيلة تتجاسس بقوة وجوية مع البذور الجديدة ، وتمنحها القدرة على النمو الصالح . ولقد كانت هذه العناصر المتجانسة موجودة فضلا في التربة الأسبانية ، ولذلك سرعان ما استطاعت فراس الحضارة الإسلامية أن تزدهر وتبع باوسع ما ازدهرت

واينعت في جهات أخرى من الاقطار العربية نفسها التي ظهر وانتشر فيها الإسلام نفسه أولا : فهناك جهات عربية إسلامية ازدهرت فيها علوم الدين وعلوم اللغة العربية والشعر فقط ، ولكن ظل انتشار الفلسفة وعلوم الطب والطب والرياضيات ، والهندسة المعمارية ، وما إليها محدودا جدا ، وفي بعض الأحيان لا وجود له . وهذا العلوم كلها ازدهرت أكثر ما ازدهرت في الأندلس ، وفي بلاد الفرس ، والهند ، وأواسط آسيا . وعندما انطلق العرب والمسلمون من جزييرتهم في المشرق والمغرب انتقوا بشعوب أخرى ، لها دياناتها ، ولها عقليتها ، وحضاراتها ، وأنماطها الحياتية ، فكان لا بد عندئذ من التجاذب بين العقائد والبيئات ، والحضارات ، والديانات ، والمشار القومية ، وكان لا بد من التفاعل بينها بعدد . ومن هذا التفاعل وذلك التجاذب كانت الحضارة العربية الإسلامية الرائعة ، ومن نتيجتهما ظهرت العقول الباهرة في تاريخ الإسلام - ظهر ابن سينا ، وابن رشد ، والغاربي ، والكندي ، وابن حزم ، والبيروني ، والخوارزمي ، وابن فرناس ، وابن طفيل ، وأخوان الصفاء ، وابن الهيثم ، وابن خلدون ، والرازي ، وجابر بن حيان ، والبتاني ، والعديدون جدا وغيرهم ممن أبدعوا في مختلف نواحي العلوم ، وكانوا منارات تهدي الأجيال في بعدهم ، وإلى جانب هؤلاء العلماء الأفاضل وسواهم كانت البلدان العربية والإسلامية كلها تزخر بالعديد جدا من النبلاء والعلماء ، وعلماء الشريعة ، والفقهيين ، والمؤرخين ، والنسابين ، كما كان فيها الكثير من الفخين ، والفنانين ، وأرباب الصناعات والمهن . وباجتماع هؤلاء وأولئك جميعا كانت الثقافة الإسلامية الواسعة الفنية ، التي فرضت نفسها على الدنيا أجيالا طويلة بعد أن التقت فيها خلاصات الثقافات والحضارات السابقة والمعاصرة لها ، وانصهرت كلها في بوتقة الإسلام واللغة العربية . وبينما كانت الفنون الأدبية أصيلة قديمة في البلدان العربية لم ينضج التفكير العلمي عند العرب إلا بعد امتزاجهم بالشعوب الأخرى في المشرق والمغرب ، وبعد أن ترجمت إلى اللغة العربية علوم القدماء - من فرس ، وأغريق ، وهنود ، وسواهم - وتعلم عليها الكثيرون ، ثم ظهر بين العرب والمسلمين - واستطاعوا أن يعضوها هضمها جيدا ويشرحوها بعد ذلك شرحا بيانا ويضيفوا إليها الكثير من نتيجة تجاربهم الشخصية وعقولهم النيرة . ولقد استطاعت بغداد العباسية أن تكون المجلس الأكبر للنهضة الفكرية الإسلامية لأنها كانت ملتقى كبيرا لمختلف الشعوب ، والثقافات : كان يجتمع فيها العربي ، والفارسي ، والتركي ، والهندي ، والسرياني ، وبلتقي فيها المسلم ، والمسيحي ، واليهودي ، والوثني . وبذلك كانت بغداد مركزا عظيما للحضارة الإسلامية فسي أروع مظاهرها ، وكان العلماء والشعراء والفلاسفة من كل قطر

العربي في الأندلس - قبل عهد الحكم العربي في الأندلس - في اثنتائه - كافية وحدها للاندفاع بقوة نحو الأذهار : فالأذهار يتطلب حربة كبيرة في التجاذب والتفاعل المعكرين ، والفكر المسيحي كان حنسي ذلك الحين ينحصر في الإدارة وعلى أقلام الرهبان والقسس ، وكان العالم المسيحي خاضعا لسلطة الكنيسة . ولهذا كان الفتح العربي الإسلامي خيرا ويركة للفكر المسيحي والفكر الإسلامي على السواء ، لأنه أتاح لأمم الناس - وليس للكثيرين وحده - أن يشاركوا في اكتساب الثقافة والاستزادة منها دون حدود ، كما أتاح حربة التجاذب والتفاعل مع الفكر الإسلامي الجديد فوالله أعلم بجراحي حربة الانطلاق لدى الجانبين . ونحو هذه حيلة الحركة لدى المفكرين المسلمين - ومن دخلوا في الإسلام - من الأسباب - كابن باجة ، وابن حزم ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وكثيرين غيرهم ، كما نجد لدى سكان البلاد الأصليين من المسيحيين واليهود الذين تأثروا بجو الحرية . قلت أن إعطاء الفكري والحضاري كان مشتركا متبادلا في الأندلس . والواقع أن العرب الذين حملوا إلى هذه البلاد علوم الدين الإسلامي ، وعلوم الثقافة العربية وآدابها ، ثم أضافوا إليها بعد ذلك مختلف العلوم والفلسفات ، كانوا يحملون عناصر قوية خيرة لحضارة تتطلب التكامل ، وتنشد التعاون على إنائها وانتشارها . وقد وجدت ههنا التربة الصالحة للفراس الجديدة ، ووجد كذلك التعاون الواسع معها ، والاستعداد الشيط لتلقيها وتميبتها . وما كان يمكن مطلقا أن تفرض الحروب والفتوحات وحدها حضارة معينة على شعب من الشعوب ، إذ لم يكن لدى ذلك الشعب استعداد للتجاوب معها ، ولتغلبتها ونماؤها ، وأكثر من ذلك ، إذا لم يكن في تربة ذلك الشعب نفس عناصر أصيلة تتجاسس بقوة وجوية مع البذور الجديدة ، وتمنحها القدرة على النمو الصالح . ولقد كانت هذه العناصر المتجانسة موجودة فضلا في التربة الأسبانية ، ولذلك سرعان ما استطاعت فراس الحضارة الإسلامية أن تزدهر وتبع باوسع ما ازدهرت

وما كانت الثقافة المسيحية - قبل عهد الحكم العربي في الأندلس - في اثنتائه - كافية وحدها للاندفاع بقوة نحو الأذهار : فالأذهار يتطلب حربة كبيرة في التجاذب والتفاعل المعكرين ، والفكر المسيحي كان حنسي ذلك الحين ينحصر في الإدارة وعلى أقلام الرهبان والقسس ، وكان العالم المسيحي خاضعا لسلطة الكنيسة . ولهذا كان الفتح العربي الإسلامي خيرا ويركة للفكر المسيحي والفكر الإسلامي على السواء ، لأنه أتاح لأمم الناس - وليس للكثيرين وحده - أن يشاركوا في اكتساب الثقافة والاستزادة منها دون حدود ، كما أتاح حربة التجاذب والتفاعل مع الفكر الإسلامي الجديد فوالله أعلم بجراحي حربة الانطلاق لدى الجانبين . ونحو هذه حيلة الحركة لدى المفكرين المسلمين - ومن دخلوا في الإسلام - من الأسباب - كابن باجة ، وابن حزم ، وابن طفيل ، وابن رشد ، وكثيرين غيرهم ، كما نجد لدى سكان البلاد الأصليين من المسيحيين واليهود الذين تأثروا بجو الحرية . قلت أن إعطاء الفكري والحضاري كان مشتركا متبادلا في الأندلس . والواقع أن العرب الذين حملوا إلى هذه البلاد علوم الدين الإسلامي ، وعلوم الثقافة العربية وآدابها ، ثم أضافوا إليها بعد ذلك مختلف العلوم والفلسفات ، كانوا يحملون عناصر قوية خيرة لحضارة تتطلب التكامل ، وتنشد التعاون على إنائها وانتشارها . وقد وجدت ههنا التربة الصالحة للفراس الجديدة ، ووجد كذلك التعاون الواسع معها ، والاستعداد الشيط لتلقيها وتميبتها . وما كان يمكن مطلقا أن تفرض الحروب والفتوحات وحدها حضارة معينة على شعب من الشعوب ، إذ لم يكن لدى ذلك الشعب استعداد للتجاوب معها ، ولتغلبتها ونماؤها ، وأكثر من ذلك ، إذا لم يكن في تربة ذلك الشعب نفس عناصر أصيلة تتجاسس بقوة وجوية مع البذور الجديدة ، وتمنحها القدرة على النمو الصالح . ولقد كانت هذه العناصر المتجانسة موجودة فضلا في التربة الأسبانية ، ولذلك سرعان ما استطاعت فراس الحضارة الإسلامية أن تزدهر وتبع باوسع ما ازدهرت

يرحلون إليها للتزود من العلم والثقافة الناشئين عن هذا الامتزاج الاممي الكبير .

ان هذا كله دليل قاطع على ان الحضارة ليست سوى نتيجة للتجاذب والتفاعل بين الشعوب ، والعقليات ، والبيئات ، والمذاهب ، والثقافات المتعددة ، ولكنهما لا تكون ابدا نتاج عقلية واحدة ، وشعب واحد .

من هذه النقطة اعود الى موضوع هذه الكلمة الاساسي . وساقصر على بعض عناصر التفاعل الحضاري في الفكر العربي - الاسباني ، وعلى الاخص : عنصر اختلاف البيئة الكاثنية ، وعنصر تعدد المذاهب الدينية والفاثات القومية .

لقد ذكرت في ما تقدم ان العرب حين فتحوا الاندلس كان في هذه البلاد ثقافتها المسيحية ، وان التفاعل بين المسلمين الفاتحين وسكان البلاد الاصليين هو الذي انتج الحضارة الاندلسية الزاهرة . وانا الان اريد ان ازيد هذه النقطة ايضا من بعض جوانبها . ولقد كان لهذا التماثل بين الشعبين والديانتين ، مضافا اليهما اليهود وثقافتهم الدينية - وكانوا كذلك من سكان البلاد الاصليين سائر الكبر في مختلف مجالات الفكر والفن : في انتشار الجدل الفلسفي والديني ، وفي الهندسة المعمارية ، وفي الشعر ، والموسيقى ، والفناء وكذلك في اسلوب الحياة الاجتماعية .

وعلى الرغم من ان من طبيعة اهل كل دين واهل كل قومية ان يسمروا بالمقاومة العديدة لكل عقيدة بكل قومية طارئة تحتل مكانها الى جانب عقيدتهم وقوميتهم ، فبعد كانت العناصر الروحية والمساوية - المتماثلة جدا بين المسيحية والاسلام واليهودية - ذات اثر كبير في ان تتفاعل مذاهب الفكر الثلاثة تفاعلا جادا واسعا على ارض اسبانيا . وقد شجع على ذلك ما كان لدى ملوك المسلمين ولاهم - وعلى الاخص في عهد ملوك الطوائف - من التسامح الفكري والديني ، ومن تشجيع العلوم والاداب والفنون هذا التسامح الذي جعل غرستان لوبون يقول : « لم يعرف العالم فاتحا ارحم من العرب » . ومما قاله ايضا المستشرق الاسباني اميليو غارثينا غومث : « كانت قرطبة نصف بلد عربي : يتحدث اهلها العربية ويعجبه اهل الاندلس ، وبخلاف فيه زين الاجراس باذان القوذن . وتجلى اختلاط الناس بعضهم ببعض ، وتجاورت الديانات بعضها لبعض من جوسمخ جميل انساني شفاف » (تاريخ الفكر الاندلسي - ترجمة حسين مؤنس - ص ٥٩ - ٦٠) يقول المستشرق الاسباني خوان فيرنيت في كتابه (Los Musulmanes Espanoles) - فسي حديثه عن (الفن الجميلة - الهندسة المعمارية) :

« ان المسلمين الاسبان ، بانصالهم بالثقافات الاخرى القائمة في شبه الجزيرة ، قد اقتبسوا من الشعب المحتل عددا من العناصر وجسدها . وتستطيع ان نذكر مثلا ، التأثير القوطي ، في القوس الشبيه بالحدوة » .

ثم يتحدث « فيرنيت » عن جامع قرطبة الذي بناه عبد الرحمن الاول على انقاض كاتدرائية القديس فنسنت ، والذي شاء به ان يقف وقفة التدم امام الخلافة في بغداد . ويقول فيرنيت في هذا الجامع : « ان اول ما نعرفه من الاخبار عن هذا الفن الجديد في المعمران الذي نشأ في اسبانيا ، تجده في جامع قرطبة » . ويذكر انه حتى عام ٧٤٨ كانت تقام في كنيسة سان فنسنت الشعائر المسيحية والاسلامية معا : الشعائر النصرانية للمسيحيين المستقرين ، والشعائر الاسلامية . ثم اشترى عبد الرحمن الاول الجانب الخاص بالنصارى للمسيحيين ، واقام الجامع في مكان الكنيسة عام ٧٨٥ . (١) ومن الشرح الضافي الذي كتبه فيرنيت عن بناء الجامع ، نرى انه قد اجتمع في هندسته عناصر من هندسة البناء القوطية للكاتدرائية نفسها ، ومن آثر الهندسة اليونانية ، لم البيزنطية . وبهذا المزيج الهندسي جاء جامع قرطبة آية من آيات الفن المعمراني الاسلامي .

ومن المؤكد ان الهندسة المعمارية الاسلامية كانت دائما متنازعة بعناصر فنية متعددة من شعوب اخرى كانت لها حضاراتها العجراية . وقد استطاع العرب ان يؤلفوا بينها نائفا متفكرا ، ويزيوا المعمران بالآيات الكريمة بحطوط جميلة واهية الالوان ، بدعة التنسيق .

واضافة الى من الهندسة الذي اشتهرت به قصور الاندلس ومساجدها ، هناك اثر الديانتين المسيحية واليهودية الكبير في العديد من المؤلفات التي كانت توضع في الجمل الديني ، وفي التفاضل بين الديانات ، مما جعل الفلسفة ، وكتب التفسير ، ونقد المذاهب سورا واسعة بين ارباب الفكر من المسلمين والنصارى واليهود . ولعل كتاب « الفصل في الملل والاهواء والنحل » لابسز حزم ، هو كنموذج واحد من عشرات النماذج . ناهيك بما كتبه ابن رشد ، وابن باجة ، وابن مسرة ، وابن عربي ، وابن ميمون ، والكثيرون غيرهم . فهذا التجاذب الواسع ، او التفاعل السليبي بين المذاهب الدينية المختلفة ، كان وسيلة مهمة من وسائل انتشار الفلسفة وكتب الدين ، ونحن لا ننسى كم كان لفلسفة ابن رشد ، بشكل خاص ، من اثر في كبار فلاسفة النصارى ، ولا سيما في القديس توما الاكوييني الذي يعتبر بين اعظم فلاسفة الكنيسة الكاثوليكية . (٢)

ان القام لا يسمح لي بالتفصيل وضرب الامثلة ، فالمجال المتاح قصير جدا ، ثم ان مثل هذه التفاصيل لا بد ان تكون معرفتكم بها اوسع من معرفتي ، وقد وضعت فيها المؤلفات العديدة المسهبة : باقلام مستشرقين اعلام من مختلف البلدان ، واقلام كتاب من العرب . وكسل

(١) الدكتور حسين مؤنس في كتابه « رحلة الاندلس » ينفي هذه الرواية نفايا بالآ (رحلة الاندلس - ص ٧٥) . (٢) انظر كتاب El Averroismo Teológico De Santo Tomas De Aquino ليجل آسين بالابوس .

ولست أريد أن أمضي مع الشغدني في ما وصف به قرطبه ، ومالقة ، ومرسيه ، وبلنسية ، وغيرها ، وإنما أقصد من هذا الاقتباس الخاطف أن أبين ما كان لجمال الطبيعة الاندلسية من أثر في نفق الإذهان وانفجاس آفاق الخيال ، وتدفق المشاعر الرقيقة فسي النفوس ، والإطلاق في فنون الحياة الرخية ، واتساع مجال الفنون لدى العرب الذين لم يألوا ذلك من قبل في بلادهم ، فلما وجدوه هنا اغتفروا منه مادة لأذهابهم وشعورهم وتفكيرهم وحياتهم . يؤكد ذلك الشغدني نفسه فسي رسالته ، إذ يذكر أنه يختلف كل الاختلاف عما « نجده في المغرب من فقر في نواحي الحضارة ، وجذب طبيعي » ، كما يذكر أنه ليس لثمر أشبيلية ومنتزهاته مثيل في مصر ولا في بغداد . وإذا لم يكن له مثيل في مصر ولا في بغداد فطبعي أنه ليس له مثيل في شبه الجزيرة العربية كذلك .

هذا الجمال في الطبيعة ، وما من حياة السكان الأسبان من تفتح والانطلاق وجب للهو ، كان جديداً ، وكان لا بد له من تأثير مباشر فسي العرب الفاتحين : فكراً ، وفناً ، وحياة .

لقد اقتصر حديثي هذا على عناصر التفاعل بين العونية والأسبان ، وبين الفكر الإسلامي والفكر المسيحي في عهود الحكم العربي في الأندلس ، وما كان لهلدا الامتزاج بين الشمين ، والتفاعل بين الديانتين ، من أثر كبير في وصول الفكر العربي الأندلسي الى ما وصل اليه من الإزدهار المذهبي . وأنا لو أردت أن أبحت في أثر هذه الثقافة الأندلسية العربية في العالم من بعد ذلك لكنت كالسباح في بحر لا حدود له . لقد كتبت في هذا الكتب العديدة ، وما زالت تكتب الى اليوم ، وستظل تكتب الى أجيال أخرى . ولن يكون حديثي فيه سوى تكرار أفكار معروفة .

أن أثر الفلسفة العربية - الأندلسية في الفكر الغربي ، وأثر الموشح والزجل في الشعر الأودوبي ، وأثر الفناء الشعبي العربي - الأسباني في الفناء الشعبي الغربي ، كل هذا أوسع من أن تحيط به محاضرة ، أو يسع له كتاب ، ومثله أيضا أثر في البناء الأاسلامي والأندلسي ، وأثر العلوم الفلكية ، والطبية ، والرياضية ، والجغرافية ، وعلوم الاجتماع ، وغيرها من العلوم العقلية والبصرية العربية .

وأنه لن حق إسبانيا أن تفاخر بأنها كانت الوعاء الذي انصب فيه ذلك كله ، والجسر الذي عبر عنه الى العالم الغربي بأسره . لقد شاركت إسبانيا في كل ذلك مشاركة جديفة فعالة ، ولم تكف بأن تمد يدها للأخسد فحسب ، وبذلك كان لها فضل المشاركة في البناء وفسي العطاء ، كما كان لها من جراء ذلك فضل التهيئة للنهضة الأوروبية من بعد .

نصدي في هذه الألمة السريعة أن أضع الأيدي على بعض الخطوط الرئيسية ، راجيا عفوك لاعتنائي بالإشارة دون التفصيل والتمثيل .

ولانتقل الآن الى نقطة أخرى من نماذج تأثير العرب المسلمين بالصالصم بالنصاري ، وهي تتعلق بالفناء الشعبي . لقد أتبع لي أن استمع العام الماضي ، في تونس وفي ليبيا ، الى نماذج متعددة من الفناء الشعبي الأندلسي : سواء في حفلات حيه شهدتها في تونس وصفاقس ، أم في تسجيلات إذاعية استمعت اليها في تونس وليبيا . وهم في بلدان المغرب يهتمون الآن اهتماما كبيرا بأحياء هذا الفناء الأندلسي ، ويدعونه هناك (المألوف) . ولعل فيكم من استمع مثلي الى هذا المألوف .

في هذا المألوف أثر واضح لآحان الفناء الديني في الكنائس الكاثوليكية . لقد كنت استمع الى الألف فاشعر بأنني - وأنا في حفلة كيف وطرب - أعود الى الكنيسة ، استمع الى ترانيمها الدينية . ولم استغرب ذلك ما دام هذا الفناء قد نشأ في إسبانيا : إسام امتزاج الصروب المسلمين بأهل البلاد النصاري قرونا متعددة ، حيث تتجاوز الكنيسة والجامع ، وحيث تحول العديد من النصاري الى الإسلام ، وتركوا الكثير من آثارهم فسي الفكر والفن ، وفي حياة الكيف والطرب كذلك .

وانتقل الآن الى نقطة أخرى كانت من عناصر التأثير في رقة الشعر والفناء ، وانفتاح الفنون للتجديد والإبداع . فيما تلك هي طبيعة بلاد الأندلس الجميلة التي لم يألوا العرب مثلاً من قبل . وحسبي أن أورد ههنا ما قاله الشغدني (أبو الوليد اسماعيل بن محمد) في « رسالته » التي كتبها لأبي يحيى ابن أبي زكريا ، عامل سبته ، فسي المفاضلة بين المغرب والمغرب . وقد أورد بعضها المستشرق بالنيش في كتابه :

Historia De La Literatura Arabigo - Espanola الذي ترجمه حسين مؤنس الى العربية بعنوان « تاريخ الفكر الأندلسي » . يقول الشغدني واصفاً محاسن أشبيلية :

« أما أشبيلية فمن محاسنها اعتدال الهواء ، وحسن المباني ، وتزيين الخارج والداخل ، وتمكن التصحر ، حتى أن العامة تقول : لو طلب لبن الطير فسي أشبيلة وجد ، ونهرها الأعظم الذي يصمد المذ فيه اثنين وسبعين ميلا ثم يحصر ... وزيادته على الأنهار كون شفتيه مطرزة بالمنازة ، والبساتين والكروم والاشمام ، متصل ذلك اتصالاً لا يوجد على غيره . وقد سعد هذا الوادي بكونه لا يخلو من مسرة ، وأن جميع أدوات الطرب وضرب الخمر فيه غير منكر ، لا تاه عن ذلك ولا منتقد . . »

وبضيف أيضا : « أن أشبيلية تحوي كل أدوات الطرب . . وأن كان جميع هذا موجوداً في غيرها من بلاد الأندلس فإنه فيها أكثر وأوجد . وليس في غير المودة من هذا شيء إلا ما جلب اليه من الأندلس » .

سقوط طليطلة

بقلم الدكتور فؤاد جبور حداد

من « العودة الوثقى » في لندن

سقطت طليطلة في يد الفونسو السادس سنة ١٠٨٥ م فاهتزت لذلك أركان الاندلس وكان الأرض قد مادت من تحت اقدامها . وكانت الاندلس آنذاك تشبه رجلا لاهايا سادرا في لهوه فجاء من لطمه لطمه عنيفة على وجهه جعلته يصرخ ويدها ويقف مبهوتا مشدوها وكأنه لا يصدق ما حدث لشدة فرايته . ولم يكن أحد من ملوك العرب والمسلمين في الاندلس يحب « القادر بن ذي النون » صاحب طليطلة ولم يكن « القادر » من النوع الذي سهل محبته على الناس . ومن الطريف ان لقب « القادر » كان أشبه بتسمية الأمور حسب اضدادها كان نسمي الغراب بابي البيضاء وتسمي المريض بالسليم ، ذلك لان صفة الانتدار لم تكن من صفات « القادر » في حق ولده تسمى بما يليق به لكأن صفة « الواجب » في الخلق اقرب الى حقيقته وأصدق . ومن هذه التسمية وأمثالها قال ابن رشيقي عندما زار الاندلس :

عما يرهنني في ارض اندلس القاب متمدد فيها ومتمسدد القاب مملكة في غير موضعها كالمرب يعتي اتخا صولة الاسد وكانت طليطلة عاصمة اسبانيا قبل دخول العرب .

ولما دخل طارق سار بقواته بعد معركة الأولى صوب طليطلة رأسا . فقد عرف ذلك النافذة العسكري ان من قبض على طليطلة فقد قبض على الاندلس كلها فهي قلب الجزيرة وتكاد توسطها تماما وتقع فوق هضاب عالية يضاف الى ذلك انها كانت ذات مكانة خاصة فيلوب الاسبان . ولها بقيت اثناء الحكم العربي لها الذي دام ثلاثمائة وسبعين سنة عاصمة الاسبان الروحية ورمز سيادتهم القديمة ولذلك فان استرجاعها كان أمنية من اعز امتيائهم وحلما من أهدب أحلامهم .

وتقول الرواية الاسبانية ان العناية الالهية قد يرث السبيل الوحيد لاحتلال طليطلة وذلك هو تعريف الفونسو بوسائل الدفاع الداخلية وطريقة توزيعها ومقدار قوتها الفعلية . ولذلك قصة طريفة هي ان الفونسو عندما توفي والده هرب من وجه أخيه « سانشو » الذي استأثر بالملك دونه والتجأ الفونسو الى ملكة طليطلة محتجما بالأمون بن ذي النون جد القادر . واكرم الأمون وفادته

وعاش عنده الفونسو تسمه أشهر معززا مكروا . وقد تعرف في تلك الفترة على وسائل الدفاع الداخلية للمملكة وبقي هناك الى ان قتل اخوه « سانشو » وجاءه رسول وهو في طليطلة ينبئه بان مرث قشتالة قد آل اليه . ويعلم الأمون بن ذي النون ان الفونسو سيصبح ملك قشتالة فيطلب منه قبل ان يسمح له بالذهاب ان يقسم بان لا يحاول الاستيلاء على طليطلة اثناء مدة حياة الأمون او حياة ابنه من بعده فيقسم له الفونسو بذلك . وتشاء المصادفات ان يتوفى الأمون بعد ذلك باربعة سنوات فلا يخلفه ابنه بل حفيده يحيى القادر . وهكذا يصبح الفونسو في حل من قسمه السابق لان القسم شمل الابن ولم يشمل الحفيد .

وكانت تحيط بطليطلة من الممالك العربية مملكة سرقسطة من الشرق واشبيلية من الجنوب وبطليوس من الغرب . وكانت مملكة طليطلة في نزاع دائم معها جميعا لا سيما مع مملكة سرقسطة التي كان يحكمها « مقتدر » آخر هو القندر بن هود . وقد يصب على المرء ان يجد خلافا في التاريخ العربي أكثر شؤما ونحسا من الخلاف بين القندر والقادر خصوصا وان ذلك الخلاف الانحراقي كان على امتلاك قلعة صغيرة تقع بين المملكتين لا تضر ولا تنفع ومع ذلك نجد ابن ذي النون يدفع الاموال لملك قشتالة ليؤم الاخير بالعت والتخريب في مملكة سرقسطة ورد على ذلك ابن هود فيدفع مولا أكثر ملك قشتالة ليعمل بالعت والتخريب فسي مملكة طليطلة . وتكون النتيجة ان يعاجم الاسبان ارض المملكتين العريتين باذن من ملكيه فينهجون الاموال ويخربون الزرع ويسبون النساء والاطفال ثم يأخذون الاجر على ذلك .

اما المتمد ملك اشبيلية فلم تكن علاقاته بالقادر احسن من علاقات ملك سرقسطة . فقد كان المتمد يفتن فرصة اشتغال القادر فيأخذ الحصون الناحضة لبلاده واحدا بعد الآخر . وكان يتطلع الى توسيع رقعة مملكته توسيعا كبيرا يضم القسم الذي يقع جنوب نهر التاجه من مملكة طليطلة . وكان يتفاوض مع الفونسو على هذا الامر ، ويقال ان الاتفاق قد تم فعلا بين الطرفين على ان يأخذ المتمد المنطقة التي يريد بها ويرضى بسان يستولي الفونسو على طليطلة . وتقول المراجع الاسبانية ان المتمد قد زوج الفونسو في ذلك الحين من ابنته « زائدة » تايكدا لولاه ، وتبيننا لانفاقه . ولا شك ان الفونسو قد تزوج من اهل المتمد ولكن الارجح انه تزوج كنة المتمد أي امرأة ابنه سراج الدولة وقسمت باسم ماريا وانجبت له ولده الوحيد « سانشو » وولي عهده فيما بعد .

وأخيرا يضيق اهل طليطلة ذرعا بالقادر فيخلعوه فيهرب ويختبئ في بقعة بعيدة ويرسل اهل طليطلة الى ملك بطليوس « المتوكل بن الانطس » لياتي ويحكمهم

(الأذعش) ظافرا ونزل في قصرها المشهور الذي كان ينزل فيه أيام محنته في ضيافة المأمون . أما « القادر » فيصف لنا ابن يسام خروجه من طليطلة بهذه العبارات « وخرج ابن دي النون خائباً مما تمناه شرقاً بقضى ما جناه والأرض تصعق من مقامه وتستأذن في انتقامه والسما تود لو لم تطلع نجما إلا كدته عليه حتفاً مبيداً ولم تنشأ عارضا إلا مطرها فيه غداً شديداً واستقرت بمحلة الأذعش مخفورة اللمة مذال الحرمة ليسد دونه باب ولا دون حرمة ستر ولا حجاب . حدثني من رآه يوماً بتلك الحال ويده اصطرباب يرصد فيه أي وقت يرحل وعلى أي شيء يعول وأي سبيل يتمثل . وقد أطاف به النصارى والمسلمون أولئك يضحكون من فعله وهؤلاء يتمتعون من جهله » .

وهنا نقف قليلاً لنسترجع الأحداث الرئيسية في هذه القصة الأليمة . . لا شك أن الممالك العربية كانت في نزاع مستمر وحرب دائمة فيما بينها وكانوا يماضون عدوهم المشترك ويدفعون له الجزية . وقد ذهب المعتدل إلى حد التواضع معه في أخذ طليطلة . ومع ذلك نجد أن الأندلس تهتم من انصافها إلى انصافها وتحس بسقوط طليطلة أحاساسها بلزائل قد أصاب الدنيا فقلب الأوضاع رأساً على عقب ويستغرب المدارس لأول وهلة منف ذلك الانفعال وشدة لا سيما وأن سقوط طليطلة يبدو نتيجة حتمية لطبيعة الظروف السائدة في ذلك حين .

هناك بعض التزب بين سقوط القدس وسقوط طليطلة . وتختصر أوجه التشبه في قيمة المدينتين من الناحية الماطقية عند الجانب الآخر ثم الانفعال العنيف الذي ظهر على الشعب العربي عند سقوط المدينتين يضاف إلى ذلك أن العدو أصبح يتبعه بقوته وبذل بعنفوانه لأن الأوضاع العسكرية قد انقلبت بشكل مفاجئ . ولو لم أرف أن هذه الآيات قبلت في أهل طليطلة لقلت أنها في أهل فلسطين :

تلى حننا بن الناس قالوا : إلى ابن التوجه والمسير
اترصدونا ونفتر متهمنا وليس لنا وراء الأرض دور
فتح وأتهد بالقاء في ساحة حيارى لا نلف ولا تسير
تس نبينا عن الإخوان أنا باعزان وأنجان حفسسود
وكمان وبالقينات اوكسى لو القعت على الكل اللبوس

ونستطيع اليوم أن نرسل لعدونا نفس الرسالة التي أرسلها أذكاف النوكل بن الأنطس ، ملك بطليوس إلى الفونسو السادس يرد بها على تهديده وعيده فيقول : « أما تمبيرك لنا فيما وهي من أحوالنا فيالذنوب المروكة ولو اتفقت لعتنا مع سائرنا من الأملاك طلمت أي مصاب أذكافك كما كانت أبؤلوك تجرعه . وما تبريصون لنا إلا بأحدى الحسنيين :

نصر عليكم فيما لهنا : من تمعة أو شهسادة
فسي سيبيل القسمة فيسا لهنا من جنة »

وباتي المتوكل وهو كاره ويحكم طليطلة عشرة أشهر إلى أن يستجير القادر بالفونسو ويذكره بإحسان جده إليه . فيوجه الأخير جيشاً إلى طليطلة يمد القادر من جديد إلى عرشه السابق ويعود المتوكل إلى بطليوس وأشيا من الغنيمة بالأياب .

ولكن لا تلبث خطورة ذلك الحدث الجلل أن تبدو واضحة عند الإيمان في النظر فقد أحسنت الأندلس العربية لأول مرة أن سيادتها العسكرية أو تفوقها على عدوها لم يمد كما كان منذ أيام الفتح أمراً طبعياً لا جال فيه بل أصبحت الامة العربية بين عشية وضحاها تحت رحمة عدوها وأصبح الفونسو قادراً على محاربة الممالك العربية كلها مجتمعة والانتصار عليها . . ويقول في ذلك مؤرخ عربي بعد سقوط طليطلة « وبذلك أخذ القتتاليون بمخنق الاسلام وبركوا على قلبه في جزيرة الأندلس وصار يمدحها لثرة معورها وأمره مدبراً » . وأحسن الناس إحساساً عميقاً بالهزيمة والخوف من المستقبل . وفي ذلك قال ابن العسال وهو عبد الله بن فرج اليحصبي على أثر سقوط طليطلة :

هوا رواحكم يا أهل اندلس فما القام بها الا من الضبط
الثوب ينسل من الفرافسة وارى لوب الجزيرة منسول من الوسط
ولدينا صور شعيرة كثيرة تظهر حال طليطلة فسي
تلك الفترة فهذا شاعر يقول لآين ذي النون وكان يثني قصراً من تصوره المديدة :

التي بنيها القادسين والناس بآنلك فيها لو علبت لليل
لقد كان في ظل الزمان كناية عن كل يوم غيرة وجيـ
وقال شاعر آخر يصف طليطلة بقـ أن غادها أهلاً
أصبحت طليطلة مملكة من أهلها في ربة العصور
بركت بلا أهل زلفها معسورة الكفاف كالقبير
انتاء كل هذا بقي الجبار نائماً مستغرقاً في سباته
ذلك هو الشعب العربي في الأندلس . فقد كانت الدساس والمشاحنات تقوم بين ملوكه ولم تكن له فيها ناقة أو جمل وكانت ملوكه تهتم بالضرائب الباهظة فيذهب معظمها جزية لوك تشالة وليون وينفق الباقي على حياة البذخ والترف والرفاهية . ولعلنا لم يكن هناك اتفاق في الاتجاه والمصلحة بين الشعب العربي من جهة وبين حكامه من جهة أخرى . وهذا يفسر الإهمال في ربة الناس للقتال ويفسر الإهمال الذي كان يقابل به الناس مصائر أولئك الملوك . فمثلاً عندما يرسل بعض سنوات للمتمدن بن عباد ما جرى من ذل وأمر لم ينتصر له أحد ولم يحاول شعبه أن يساعده في شيء . هكذا كانت الأحوال قبل « البطشة الكبرى » وانقراض الفونسو على طليطلة عاصمة القوط القديمة وحجر الزاوية في بناء الأندلس تلك التي قال عنها الشاعر :

زادت طليطلة على ما حفسسوا بلد عليه نقرة ونعيم
الله زينه فوشع غيره نهر الجرة والقصون نجسوم
وبعد حصار دام تسعة أشهر دخلها الفونسو

غرناطة

وبها يفسج الجرح والالـم
كف الهزيمة ليس يلتـم
خلود عند الباس وانهموا
والموت في العيش الذي وهموا
عن حفظ ما تستودع اللـم
من دونه الاوجاع تلتـم
يطو لديه المسوت والرجـم
النار ما تلقاه تلتـم

بلسان حال ليس يتهم
شجنا كقرب النار بقطـم
حينما على كره ربتـم
لوح السماء وردد التـم
وهنا يد لتسلم وفـم
رجع الصدى والسهل والاكـم
من دونه الزفـرات تسـم
في وصفه تستعـم الكلم

صور تشيب لهولها اللـم
من ذكريات حشوها السـم
قسط البـيون وعقت الرحـم
في عاصف الالهواء وانقسموا
بشوارب وكانها حمـم
وبدارهم بيد الردى رمـم
وامتد باع الخـم وفـم
صرعوا وكانوا الاتـم هموا

اوجاعه ما ليس يتكـم
لم يشها عن ظلمها رحـم
قدم الزمان وبادت الامـم
من خاطيء (٢) دمـع ولا ندـم
ما ضيع الغـزلان والهرم
من راحم وبمجه الكرم
بالاسد عز القـيل والاـجم
للمجد ركنما ليس يتـم

عنان مردم بك

ذكر الله يجـش دونها التـم
تلي العصور وعـار ما اجتـم
أشجنا ان نبيك من خـور
حذروا الحمام فاحجموا سفـم
يا بؤس للقوم الاولي جـموا
عـش الذليل على المـدى قصـم
ولرب عيش من مهانتـه
من نام قرب النار تحرقـه

ما كان الفـج ما رويت لنا
اعربت بالشكوى فـجت لنا
وانـرت اوجاعا تـمها
شكواك ما رسم الغـيب على
وحيفـف اوراق تعانـمها
نطوين اوجاعا وينـمها
اولـس في نـاي الغـيب صـدى
كم تعـرب العـرات عن شـجـن

استرفد الذكرى فـترض لـي
ونفـس اجفان بحر فـمها
من ذا السوم ومـا القـول اذا
ان العـدة بشوك حين مشـوا
اقتادهم ما يتـم عصفت
يتقائلون على الهوى شـطـم
قصرت عن العـياء هـمـم
ان الاولي في ظـم ما اقـرموا

(حواء) (١) ما تغـن جاهدـة
شر المصائب ما جـته بـد
والعمار حـي لا يموت اذا
ان الخيانة ليس بـفـمها
هل رد دمـع سـال صـبه
دمـع الهوان المـار ليس له
تفلسو الدبـار باهـمها لكـم
والعـجز زلزل شامـعاً وطوى

دمشق

(١) قصر الحمراء المشهور (٢) لا تسحب ابو عبد الله الصغير اخر ملوك بني الاحمر اخذ بيكي

يمن علينا الله فنكتحل اعيننا نحن ايضا بـلاقة جديدة
وما ذلك على الله بكثير .

فؤاد جبور حناد

لندن

لذلك الموقف الشريف وقفه في ذلك الحين . وما
ينلج الصدر ان الله قدر لذلك « الشهم » يد سنة
واحدة ان يشاهد الحصنة الاولى تتحقق في معركة
الزلاقة وذلك في اكتوبر سنة ١٠٨٦ م . ومن يدري قد



يوسف عبد المسيح ثروة

مسرح صموئيل بيكيت

بقلم يوسف عبد المسيح ثروة

صموئيل بيكيت (١٩٠٦ - ..) فاض كاتب مسرحي أيرلندي ولد في دبلن . هاجر - وهو في معتزل شبابه - إلى فرنسا وهناك سرف على جيمس جويس ، وعاد إلى دبلن في أواخر الثلاثينيات ليعود في كاتبة Trinity . وفي سنة ١٩٣١ ترك مهنة التدريس وعاش في أرجاء كثيرة من أوروبا واستقر به المقام في باريس عام ١٩٣٧ ، ومن هناك بدأ نشاطه القصصي والمسرحي ، ولا كنا في صدر دراسته بصفتيه كاتب مسرحية فلاننا سئرب صفحا من قصصه التي لم تزل ما نالته مسرحياته من شهرة طائرة وصيت واسع ..

كتب بيكيت مسرحياته متعجدة منذ ظهور مسرحيته « بانتظار غودو » سنة ١٩٥٢ ومنها « نهاية القمية » و « كل السالفين » و « الجلود » و « الأيام السعيدة » و « فصول بلا كلام » وآخر مسرحية ظهرت له هي « مسرحية » سنة ١٩٦٢ ..

فما هي المميزات البارزة في مسرح بيكيت ؟ وما هي مقومات هذا المسرح ؟ وما هي التمثلات الفكرية التي يصنع منها هذا المسرح ؟ وما هي مكانته بالنسبة إلى مسرح البيت ؟ ودور هذا المسرح في المسرح العالمي الحديث ؟ هذه الأسئلة وتكثر غيرها تتوارد على الأذهان بسرعة متلهفة أحيانا ورائية أحيانا أخرى بقية المسؤل الشاغلة ، ولا سيما في بلدنا الذي يجد نفسه منذ عهد قريب تجاه مذاهب فكرية جديدة اتصلت له مضامين مسرحية جديدة على أيدي سائر وكاني ورويلس واوينسكو .. وأخيرا جاء دور بيكيت ، الذي ييز الجميع في القفوة على التريب والإفراق في الوحشية الفكرية والتحقيق في المسمم والمجرات ، وفي الفوضى إلى أعماق النفس ، التي أسال المتاحلة في هذه الأمعاق ، وفي التشرية الضيقة القصيف من الاستنار والبراقع والأفلسة .

وبلندا حاثي باثر - وهو في صدر هذا الطوفان - من الافكار الغربية الجديدة ، وعلة هذه الحرية يمزى - بالفرجة الأولى - إلى

انغمسا إلى دراسة جدية موضوعية نقدية للفكر العالمي المعاصر ، ياروعه وتسمياته وتفرعاته ، فما يتقل إلى لفتنا - في هذا العدد - لا يحدو ترجمات لكتب ذات اتجاه معين : فمن اليرافمانية والوضعية والوجودية والمدمية إلى ادب (اللا مقول) وكلها تفرز بصفحة مشتركة هي الاهتمام الرعسي بالذات الفردية ، وتبعيتها من التشرنق في التشرقة الحرة وإبعادها - ولو من طريق فكري - من الانتماء بالذات الأخرى ، بالأخرين ، حتى إذا كانت الوسيلة إلى ذلك السفسطة والمنهجية الحديثة ! .

هذا من الفكر بمثابة أما من المسرح بغضاه ، هذا العمل النخب الذي أخذ يتوسع - على حساب الحقول الأخرى في أرجاء العالم المتكف كافة فاتكناشنا عنه - باستثناء الكنتاة - مدة طويلة ، والمتاحنا المجيء طيه في الفترة الأخيرة - ورضنا في موضع التنبه لتسوء من توهه بعل كايوس حلم على قطع ما يكسون من التقل والصف والفعلة ، فالتبره القنسا يسبب عدم استمداننا وميوعة موانعنا الفكرية وتسببنا الابدولوجيا كالتشبه باليرافية الوضعية ، والتنازع بالتهادة (أن وجدت) أمقا في الكسل الذهني ، وكل هذه الأمور تفتح السدود على مصاريها أمام تيارات الفكر العائبة والألا مقولسة والجميدة عن أرضية الواقع ، والمعلقة في سديم (الأنا) وأجواء الاجدوى ..

هذه التيارات استلطت - في لغة من الزمن - وعلى حساب الفكر الإبداع والباحث النخب - أن نصلنا من واقعنا المعسي ، وأن نبدع غواتا وتشل صائنا وإعرق فمراننا ، فيكون ما يكون من أكراد الطوفان التي لا تزال نواجهها بقلوب دامية ونفوس مهتصة ، ولحسن لا تعرف سبيلا واضحة في ميدان الفكر الواسع ، إذا اختلط علينا السبيل وإضطخت أمابنا الإلال ، وناء الإذلاء المتعوي بالكر ، فسادا ما فالوه اليلركة بشأن فلان لا يصلح أن يكون اليوم دليلا هاديسا ، في الطريق القاتلية ، والألا بنا في ليل بيم ، بعل يارضا ليل لسل الرصاص ، ونش ناهون نشتري هنات طليا لقصد نجمة صعبة أو شهاب ماسر ! بأغلنا هذا الكاتب العائيت يمتلئ ليلسنا كاتب عائب آخر يسرة ، وكلم في العيت سواسية ، وإذا لم يد العيت يلقى على أئاد الغرب منذ سنة ١٩٦٢ كما هي شهادة الاستنار التناقص جـ. آر ناير (١) فهو لا يزال متعلقا طينا ، لأن البجدة تهرلنا عن حقيقة هؤلاء العائيتين الكبار من الكتاب الذين نرتت مواقفهم ولبدت حقيقتهم واستقر أمرهم على ما استقر طيه ، وإذا هم كمتة فريسون ظاهر وجودهم يبايئ ناصع كاللبرو الكلكسة وباطنهم نظام مفسرة وجيب تعيش على انقلابا البديان كما كان يقول الناصري بحق وحقيق !

ومن يكون بيكيت فيه واحد من أساطين العائيتين من الكتاب الذين لا يجدون معنى لشيء فيه كانه لا سبب لشيء لا بد يكون في هذا نغو أو اعتباط أو مفالة وتجن ، وقد أكون مخطئا ، وأنا في يدأية بعني أن أقول ما أقول ، وأرجو أن أكون كذلك فلما يختلف الآخرون والأوامر ، ولكن الحقيقة - مع مزيد من الأسس القاصلا - لا نفر من كونها حقيقة وإن مدبت واهيتت ووسعت في قصي !

فمن مميزات مسرح بيكيت معالجة تفاعلة الكون والوجود الإنساني ، وحقيقة الفراغ وسقم الصراع بين التفاعلة والوصول إلى هدف معين في الحياة ، وعدم وجود معنى ، مهما يكن هذا المعنى حزلا سلبيا ، والتوكيد على حزية الحياة بوضاحتها لعبا ولهويا ، والانتصار على هذا الظهور والظلم وهكذا « فان كبر الحياة كلبية وكعهاولة الإنسان للعب نقل الموضوع الرئيسي في المسرح البيكيتي (٢) » وكذلك الصلات الإنسانية ليست سوى مجهودات ضرورية لخلق التوتير الذي هو ضرب من غروب القلب ... وجهال هذه الصلات (من ناحيتي الزمان والمكان) هو الطبيعة الطبيعية الألامنة للعب الإطفال الاشرار ، الذين هم نحسن

وانهم و .

إن مسرح بيكيت لا يتصرف بوجود الحياة إلا بصفة هذا الوجود
تفاهة كبيرة وسفاهة دامية مأساوية .. ولذا فحواره الذي يتضمن
في نوتر مسرحه ، حوار مليء بالفتاة والتأليس والاستفهام الجهنم ،
« و هذا التواتر هو وجودنا نفسه » . وكل مظاهر الحياة - عند
بيكيت - ليست غير ولادة وفراغ وموت ، ومن ثم فالحيث هو ظل
الحياة القليل ، هو الوجود نفسه ، يستمده ولعائته وشروره ، هو
اليسم الذي يسم كل شيء في هذه الحياة ، ولهذا السبب بالذات
فإن بيكيت لا يصارع في مسرحه الشر بصفته طامعا سلبيا في الحياة
بل يمادي الحياة نفسها باعتباره دالة كبيرة في هذا الوجود ، في
الكون ، والعالم ، وفي الإنسان نفسه . ولأن ليس لغة من معجبة
وحب ولعاطف ومشاركة واحدة في مصرى واحد ، بل ملئت متخاميل
شديدة ، مستور بغشية التناقض والرياء والمخاطبة . الفرد يكره الفرد
فهو نفسه ، والفرد يكره المجتمع فهو عدوه ، والمجتمع يقتل الفرد
فهو غريمه ، والكل في غمرة الضباب غارقون ، لا أمل لا رجاء ، لا
طريق من هاوية الفراغ والألا جدوى والألا معنى !

أما معلومات مسرح بيكيت ، فتنبؤ في فكرة الانسلاخ عن الواقع
الحي ، وإبعاد الإنسان عن تاريخيته واجتماعيته ، وفي جو الرعب
للعمل الدائم الذي يسيطر على كل شخصه ، ومعاقلة قتل الوقت
بالهجوم إلى لغائمه وسفاهاته رمزية . والاحتكام بالتناقض الفلسفي
بشيء ، قد يحصل أو لا يحصل ، أي التوقع المثل ، بالهواجس السود
وحسد الوفاق السلبية حشدا مقصودا بنية القضاء على كل أمل أو
رجاء في فرج قريب أو بعيد ، والتوكيد على المدام الزمن ، وبسبب
الاشياء في موضوعها ، على الرغم من الحركة الظاهرية المتشوشة .
واكثر دليل على المدام الزمن هو الانتظار الذي لا ينتهي ، والذي
ليس له قرار . والانتظار في نفسه - عبارة عتيقا لن تجربتها لأنها
في الفهم الوحيدة في الحياة والعزلة نفسها ، إذا وجدت - فهي
ليست انغلاقا حيا واستجابة من إنسان حي ، أنها موجودة لا وجودها
حيثا بل وجودا وظيفيا ، أنها لازمة من لوازم الحياة الموت ، قبل
الفراغ ، مثل المستحيل ، في عالم ميت وجود حامد .

أما المتطافات الفكرية التي يصدر عنها مسرح بيكيت فيمكن
تركيزها في الصعوبة الميتافيزيقية ، التي تدرس ظاهرة الإنسان دراسة
ذاتية بعيدة عن كل موضوعية ، فهي تتجاوز الهواجس المادية للوجود
البشري بانتزاعها هذه الهواجس وعرضها هذا الوجود عرضا سلبيا عاريا
أي وضع الإنسان أمام مصيره بصفته كالنا فريدا ، لا يرتبط بالمجتمع
أو أي روابط ، لأن جميع الروابط موضوعات اجتماعية ينبغي عسدم
الاعتراف بها ولأن الظاهرة الإنسانية ظاهرة عشوائية غير حصدية وغير
غالبية ، أي أنها طرح أو ابتئاف في الوجود ، حدث بلا سبب مبرر ،
ولا استجابة لأي عوامل ضرورية ، كإفنة في دورة الوجود ، فهي
الغام ، وفي الكون . والصعوبة الميتافيزيقية تسمى جامدة إلى ذات
سفك الوجود الإنساني وعدم مقولته وسديمية مفهونه ، ومن هنا
نفذ كان لعل الظاهرة الإنسانية من غيرها من فواهر الحياة صلبة
وتنق بالمعنى من حيث كونها فلسفة تهتم أشد الاهتمام بالفارسية
كل ظاهرة ، ودراستها على ذلك الأسس ، من جهة والفراغ المحتوي
الإيجابي من هذه الظاهرة بحيث تحول إلى أداة سلب ، بل موضوع
سلب في النهاية من جهة أخرى ..

إن الصعوبة - فلسفة وتذكيرا وسلوكا - تنشأ - في مفهومها
وشكلها ، وفي كل نواتجها - إلى سلب التاريخ من مفهونه التطوري
وفيه الإنسانية ، وتكرار كل القيم التي جاهد الإنسان - من تاريخ
وجوده الحضاري والمفني - على تبييتها وتركيزها وتاصيل جلونها ،
إن السلب والعلز هما الزنكآن الأساسيان في الصعوبة الميتافيزيقية ،
ولهذا « بل مثل هذا المسرح ليس فقط بطلا مزيفا بشكل دائم

وفلما خلف نفسه ، ولكنه ممثل يتصارع مع افئنته » لأن « كل شيء
في الواقع غير حقيقي » ومن ثم فوجود الإنسان نفسه هو موضوع
سؤال كبير ، لا يتفرع أساسا وجود كل شيء .. ذلك أن القديمة
يلعب السؤال طو السؤال من غير أن تجهده نفسها لإيجاد أي جواب
.. إذ لا جواب ، في هذا الوجود يمكن الاطمئنان إليه !

مسرحية : في انتظار غودو

إن مكانة بيكيت في مسرح العبث مكانة مرموقة ، وهو يأتي في
الرتبة الثانية بعد يوجين أونيسكو ، وقد احتل هذه الرتبة بجدارة
بمسرحيته « في انتظار غودو » وهي خير مسرحية كتبت بعدد الفكر
الألا مطلق ، لأن مؤلفها بقدرته الدرامية استطاع أن يشد ذهن
المتشاهد والفارح شدا فريحا ، على الرغم من عدم وجود مضمون
معقول في المسرحية ، وعلى الرغم من بشاعة جوها ، ولقائمة طورها ،
وتفاهة شخصوها ، وسطحية وجودها .. وعمر ذلك - على ما اعتقد
- هو لفرة الكتاب على تحمل الترتيب المسرحي طافة حيوية مدعشة
تنمض شخصوها بعد جذبها إليها ، ولحللنا بعينها الدرامية الس
شخصي ننظر كما في الحال بالقياس إلى باقي المسرحية . وقد كان
لهذا الإيهام ، على السطح في المصادق العالية ، بحيث أدى إلى أن
يكون لهذه المسرحية شأن خاص في الثقافة والقرارة والنفاد على
حد سواء . فحين أن هذا الفصيح المفار وصل أقصى حدود التشابه ،
ومن ثم فلا بد له أن يعود إلى مواضيع التنصارة ، وما هو في طريقه
إلى ذلك ، بل هو قد عاد !

فقد أخذ مسرح الاقفلون - بالقياس إلى المسرح العالمي - في
شئ مطامحه - للتعبدة والتعصبة والفرجة والواقعية - بتراجع إلى
ميتافيزيقية فطت على وجوده ، كقوة معولة ، مغيرة ، باعثة على
الحياة ، صاعقة إلى تعيد الأسم من صميمها ، وجعلته منه مسعود
معرفة ، وهواجز يعول بين الحادي وبين أن يرى شيئا بعد من الله .
على الرغم من أنها أدنى ولا تزال تدعي أنها لم تلزل الإنسان عن
وجوده إلا كشيء عارض عاريا كما هو في مقامه وولادة وجوده الجوف
ونظنكم الرب ، وموته - الذي هو الحال الوحيد لمصدة وجوده -
ومن الأدلة على تراجع هذا المسرح هبوب عاصفة شديدة من التشبه
حتى في الولايات المتحدة نفسها ، ولكي تكون متصنين فيما ذهبنا إليه
عن مسرح العبث لا بد أن نلفت الأن إلى شواهد تثبت ما ذهبنا
إليه ، فقدم بصيرة إلى مسرحية « بانتظار غودو » فلها (لشيء الكثير
من هذه الشواهد ...

المسرحية كما يتونها المؤلف (مأساة هزلية) تتألف من فصلين :
التشديد : طريق ريفية . شجرة . الوقت مساء . البطل الأول
إيستراون (مستسلما) يحدث صاحبه ميتلا : « لا شيء يمكن
فعله » فيجبك للادبير : « لم بد أنه يستطيع حتى أن يسهك . »
إيستراون يصف البشر جميعا كونهم فردة جاملة .. أنه يواجه
التفارة ثم ينتقل إلى للادبير فيطالبه بالسبر ليكهما لا يستطيعان .
كأذا ؟ لهما في انتظار غودو . ويقتل إستراون إلى أوداق الشجرة ؟
فاذا بها جاملة ميتة . ويعود يصبر إلى صاحبه ليؤكد من المكان
من الشجرة ، من محل الكود . وإذا بصاحبه ليس متاكلا من المكان
الذين كما في الحال بالقياس إليه .. أن الاثنين يرتبطان لأول مرة
بشخص هو غودو ، وهما يكتان أن اسمه هو كذا ...

وهين يتحدان من مذل رأس الجزء ، الذي هو هنسا مذل
الهيئة . لا يبدو الإستراون ينهما من أجهاد سيبف ، فبالذات نفسه هو
مسألة مزاج ، أو الخلال ، لا يعود لا يمكن فعل شيء تجاهه ...
ذلك أنه لا فائدة من الصراع ، فالإنسان هو هو . والشئ الجوهرى
فيه لا يمكن أن يتغير . ويعل بوؤد صيفيا يلتزم إلى الجوالسين
التائمين . فيقتلته غودو ويغيب قهوما ويكون مع بوؤد عبده « كي »

الذي يندب قياده بحيل متين ، ويؤكد بوزو وجود المصادفة العمياء في مسيرة الحياة ويذكر إسترافون وفلاديمير بترك الضعيفة بقوله : « تذكرنا التي كان يمكن أن أكون في حالتيه ، كما كان هو يمكن أن يكون في حالتي لو لم ترتب المصادفة في خلاف ذلك » ، وعلنيصا يسأله فلاديمير : « ألا تريد التصديق منه (يقصد من كتي) ؟ فيجب بوزو : « ..الطبيعة تلك لا تستطيع أن تقصي هذه الظروف بعيدا عنك ، فاحسن شيء نستطيعه هو أن نقتلها » .

لكي يبعد أن بكى كثيرا ينتقل من البكاء ، فيعلق على ذلك بوزو متوجها بجدته التي إسترافون : « .. إن دعوى الطبيعة كالتة ، فكلمنا يدا أحدهم بيكي القطع آخر من الكمام » ، ثم يصحك بوزو ويستطرد قائلا : « معنا الآن لا نتحدث حديثا فيه فسوة على جيلنا فهو ليس أشد ناعسة من أسلافه » ، ويتوقف فيقفه فيادة ، ويبدو كل شيء للكي أسود داكنا ، ويريد بوزو أن يتحرك ولكنه يظن إلى غلخته ويتسائل من اسم إسترافون بقوله : « ما أسعدك » فيجيبه الأخير : « دم » ، ويبنى أنه سأل هذا السؤال ويظن إلى السماء فيفكر فيها مليا ويقول : « .. وراد هذا الستار من الرقة والسلام والهدوء يتنفض الليل ويستبصر عينيصا ناعما فسي الوقت الذي لا تنوذه » ، ويقتسم كلامه : « هكذا تجري الأمور على ظهر الأرض في كل هذه » ، ويسأله إسترافون من أمر ما فيرد عليه بأن ذاك رسة ضميعة ، وهنا ينتبه إسترافون إلى نفسه ويقول : « وفي الوقت نفسه لا شيء يحدث » ، ويريد بوزو أن يروح من سام صاحبه فيلتفت حيل لي ويقول : « ماذا تفعلان ؟ هل لنا أن نعلمه طلي الرقسي أو الفناء أو الفكرة أو التفكير أو ؟ وهنا يتسائل فلاديمير : « ويذكر » فيجيبه بوزو : « بالتوكيد » ويصوت مرتلح ، حتى أنه اعتاد ذات مرة أن يقرر بصوت جيفة ، بحيث أصامت إليه السمع فاستمع ، لكن هذا كله لا يهم ، فليس التفكير ولا أي شيء آخر ذا جدوى (لأنه شيء يحدث ، ولا الإنسان يأتي ، ولا السنان يتغير ، إلى حد أن بوزو نفسه وقد قصد الرحيل تسمرت رجلاه بتسمر لدميه في الأرض فلا يعود يقدر على التزحزح من مكانه فهو غير قادر أن يبدد تردد طويل) على الرحيل . هذه هي الحياة تسمر في موضع ما ، لا ناعسة ولا حركة ، وجود شامل عام ، سكونية مطلقة ، كابوس من الرعب الأسود يمزق كل معنى وكل انسجام وكل قايه ..

وتصبح الظاهري في هذا السديم (الغرب إلى حد غريب أيضا ، فالصبي الذي يجده فلاديمير فيخته يسمر طيه التفرقي بين السعادة والشقاء فإذا سأل فلاديمير : « أنت لم تسبق ؟ » يجيبه بمسدد تردد : « لا أدري » ، وعلنيصا يجابهه بقوله : « أنت لا تعرفي اشقي أنت ام لا ؟ » يرد الصبي قوله السابق بأجابه : « كلا ، لا سيدي » ، وهكذا فالصبي لا يقل نمعا شاهد إلا من يكن واحدا نمعا ، ولعلها هو ساهم بظن إلى القمر وهو يعلق في السماء ويتوقف في مسيرته ليليل فلا شايها على التهدد .. ماذا يعمل القمر ؟ لماذا هو شاحب الوجه ، أنه شاحب ، قد انتهى كسب ، ويتسائل فلاديمير في نفسه إسترافون وفلاديمير إلى سام يأس ، إلى قنوط أسود الذي قد يدفع فلاديمير إلى القول : « بعد لنا ما نعلمه هنا » فيستطرد صاحبه : « ولا في أي مكان آخر .. » ويبتعد إسترافون من صاحبه قليلا ويقول : « لم نعلق لمكان ؟ وعلى حين غرة » فيجيبه صاحبه غلصب : « ليس الأمر أكيدا » ، ويريد إسترافون قول صاحبهه بقوله : « لا ، ليس من شيء مؤكد » .

وفي اليوم التالي وفي الوقت نفسه ولكن مكانا مسافسه يتكشف الفصل الثاني من إسترافون وقد تشبه عليه المكان الذي هما يتفحصان : « هنا ، أين نحن الآن ؟ فيجب فلاديمير : « أين نحن ؟ الانتراف ؟ وعلى حين غرة » وعلى حين غرة ، فيجيبه صاحبه متاجيا فالصبي : « انتراف ؟ على ماذا انتراف ؟ كل حياني الكلمة لم

أفعل شيئا غير انتراف في الاحال ، وأنت تحدثني من هذا المنظر » . وتستند المرأة في نفس إسترافون حتى لا يجد مقرا من القول وقد ميل صبره : « أن أحسن شيء هو أن نقتلي ، كالأخرين » ، فيشامل فلاديمير « ومن هو الآخرون ؟ » فيجيبه إسترافون « الإيليين من الآخرين » ، كل هؤلاء الموتى ، كل تلك الأصوات البينة التي تحدث ، صاخبا كالجماعة ، كالزوارك ، كالأرمل وكلها تنطق بمتينة » .

ويتخيل فلاديمير قدوم غودو ، ويهتف هتاف الشعر ويقول : « أه غودو ، في الختام ، غوفو ، أه غودو ، لقد نجونا » ، ويهتف فلاديمير صاحبه وينثر مليا إلى الاق فلا يجد في فراغ أجوف ، وإذا به يعود إلى الأرض مرة أخرى ، بعد أن طاش سهمه وخسابره قلته ، ليومني في أحضان الجصيص ، وبالي دور إسترافون ليتخيل جماعة قائمة لقلعاهما ، ويبدو هو الآخر بشل لدبح ، وبنيته إلى فشل هذا فيصتدر من صاحبه ويقول : « لقد أصمت وبنيته ، حدثني ما العمل ؟ » فيرد عليه فلاديمير : « لا شيء يمكن عمله » ، ها هنا قد أيرا بوضعه ، ولكن غودو لم يأت ، وهو لن يأتي ، وهذا ليسا لمدسين ليظلا في موضوعهما يتناقران ، لا بد أن من هذا الوجه ، وهنا ينتقي بوزو من القدم ، ليصل محل لودو المنتظر ، وليبقي بالقرب ، ربه هو ، في طلي الجوانيين الاقلايين ، فيقول فلاديمير : « كل ما أعرفه أن هذه السماعات طويلة ، في هذه الظروف ، وليس لنا إلا أن نرجي الوقت بما يبدو معقولا أول وهله .. ولكن لم يزل هذا اتيه في الأيل من غير نهاية في هذه الأعمال السلسي ؟ » ثم لفت استسأل الوقت وحان القريب ليكاشفي في الاقلايين في وحدة نفس لا شيء ، وبعد اخط ورد بين بوزو والاقلانيين ، ينتشلي بوزو غاضبا ويقول : « ألم تكتفيا بتدبيري بوقلمنا الكمون ؟ أمي فطيع » ، حتى : « ذلك يوم ، يوم قديم من الأيام ، يوم أصبح هو (كتي) في الحرس ، ويوم أصبحت فيه أمي يوم سنصحب فيه بكما ، ذات يوم ولدتا ، وذات يوم سنوت » ، اليوم نفسه والثانية نفسها ، لا يكتفيصا هذا ، أن السمان بين الأطفال والقرير بين القدمين ، ويتكلا الصقود كقط لم ياتي القليل مرأ أخرى » .

وعلى هذه الشكالة من القراءة القائمة يجندنا بوزو وعلى لسان بيكييت من فلسطين في الحياة ، ومن مسافة أفاعلي في وجوده الظاهر والوثني ومن الوقت الذي لا ينتهي ، لأنه فالده الحركة ، جامد ، ومن المسير الأسود الذي ينتظر كل شيء يدب على هذه الأرض ، ومن تشابه الأيام والثواني واللحظات وربانيتها اللبينة ، حتى يسمر التفكير في كل ذلك ، وهذا الصبر يظهر جليا على لسان فلاديمير حين يقول : « ألا لا أعرف لماذا أقرر بعد هذا كله » ، ومع ذلك فإن شيخ غودو لا يزال يعذب فلاديمير ولذا فهو يسأل الصبي : « ماذا يعمل السيد غودو ؟ » فيجيبه الأخير : « سيدي ، أه لا يعمل شيئا » ، ثم يعطر الصبي بأسنكة تتناول عظمه وشكله ، ويخيل للصبي أنه يعرفه فيجب به بما يستطيع الأجابه منه ، ولكن فلاديمير يشك في كل ذلك ولذا فهو يقول موجه كلامه للصبي : « .. أنت متأكد أنك رايتني ، ولن تأتي هنا وتقول لي أنك لم ترن قط » . وهذه المواقف البائسة المقلعة تتناثر بكثرة في (نهاية القصبة) وهي تة متقلبة ، في انتراف (غودو) فهم الأعمى يسجن أبوه ناغ ونيل في يرميلي قفاعة ، وبنيته معه في فرقة البيتية عبده القليل

(1) القسم المسرحي ، جون رسل تايلر ، مادة البيت (الامتداد)
(2) دراسات في المسرح الفرنسي الماصر ، جاك جويشراود وجين بيكلمان : الترجمة شاكرا النابلسي ، (3) دراسات في المسرح الفرنسي الماصر ، جاك جويشراود وجين بيكلمان ، ترجمة شاكرا النابلسي ، (4) سني أفراد القطيع (الشرير بارسه ، ي ، ع ، روة ، (5) حرودة التي : أوتسب قشر .

الحرف العقيم

مع هدبل الحمام كان يعدو وراء الكلمات
ففيه مغمم بالحجب
وامتياني فجأة نعيرة
أه لو تكونين
قطرة مطر ...
حبة قمح ...
لؤلؤة في قاع البحار
قوس قزح ينطلق
من أرخبيل الطبيعة
أه لو اسكت
قلب المدينة الدافئ ببيديه
هكذا ...
لحشرت معي يا صغيرتي
حضوراً أبتديا ..

هند نوري

القاهرة

يستطيع كل القوي الذين سيخترعون من طلبة .. « وهذا الفراغ نفسه
يزحف زحفاً ببطئا إلى الكفة نفسها فيخرج كلماتها من تحتها ومنعها
ولذا فإن كلف يجد من الخسب أن يقول متعديا هام : « .. آسا
استعمل الكلمات التي علمتني أياها » فالأمر لم تعد تعني شيئا ،
فلمنتي كلمات أخرى ، ولا دنتي أصمت » .

وفي هذا الجو المرير تبولعت الموت والانحلال والتسكع ، بطيب
تكلف أن تصور نفسه وقد فارق الحياة ، وقد أخلت جثته بالتسكع
وأخذت راحة التئن تنقع ، وهذا ما حله على القول : « .. لا بد
من أن التسكع أن عاجلا أو آجلا » . ألا أن صاحبه يجده متفسفا
وهو لا يزال على قيد الحياة ، ولولا فهو يقول له : « أنك قد تئنت
منذ حين . ولكنك كله تئن متعب من جث هامة » . والآن فابشر
الإحياء أموات وإن حبسوا أنهم أحياء ، كل شيء في الوجود ميت ،
فلماذا يؤني بالآسنان إلى هذا الكون الميت ؟ لماذا يجني الأب على
أبنه ؟ ومن هذا التساؤل ينطلق هام متعيا يواجه أباه بقلوبه : « أياها
الموت ، لماذا تجبتي ؟ » . وحيث الموت ، السكون ، اليهود يكون
النظام ، ويسبق من تلقى كلف بهذا النظام نراه يتأجبه : « انني
أحب النظام . فهو طمحي . هام حيث كل شيء هادئ وصامت
وكل شيء في موضعه الأخير ، تحت التراب الأخير » . ومع كل ذلك
فإن كلف يريد من صاحبه أن يسترح في الحياة ، ولكن صاحبه يجد
الطفال محيطة به ، فالأمر إلى وجوده ، وهو لذلك يقول : « ..
أشعر كوني ليست .. أه لو كنت مستقيما أن اسحب نفسي إلى
البحر ! إذن لمعلمت نفسي وسادة من الرمل بانتظار معي الأوج » .

ومن هذا الخيال الشعري ، ينتقل هام إلى موضوع السعادة
ويسأل صاحبه : « هل حطيت بلطفك من السعادة ؟ فيجبس
صاحبه « على ما أعلم ، كلا » . ويعود هام ليطمأ بالهدوء والراحة
فيأمل في الوصول إليها ، حتى ينتهي كل شيء ، الصوت والحرارة ،
والهيمية في الكلام ، والكلمات اللمتية ، وتلصق به الواو صعدا
في الجبال ، إلى أن يخل توازنه فلا يعود يدري أهو ممتلك زمام
لذته أم أن هذا الزمان زلّ منه هاربا ، ويكيل لكلف أنه يعلم
فالأمر يتحدث عن السعادة التي يتحدث بها الناس ، وعن الجنان
وعن النظام ، ويطن بطنه أن صاحبه لا يعرف هذه الأشياء فيطأه
فقال : « .. أنك لست وحشا ، فكر في هذه الأشياء ، وسترى كيف
يصبح كل شيء جليا وبسطا » . غير أن صاحبه لا يمكنه أن يفهم
هذه الأشياء : « .. أنا لا أفهم ، سينتهي كل شيء ذات يوم فجاءة
سيتغير ، سيوت . وقد أكون أنا الميت . وهذا أيضا لا أفهم .
سأفتح باب الزلزلة والحب . انني معني الظاهر إلى حد اننسي
لا أرى إلا لعمري إذا ما فُتح عيني والأمر أن تراب أسود بين سائي
ويحدث أحدث نفسي وأقول : انظرات الأرض ، ولو اني لم أركها
مضيت لطف » .

وهكذا ف « نهاية القصة » كانت خسارة منذ القدم ، وكيف
لا تكون كذلك والوقت نفسه ليس غير لحظات من لا شيء ، وإن
والأمر ، لم يكن له من وجود ، أو هو قد انتهى أن كان موجودا ،
وفد افق باب الحساب ، وتمت الحكاية .. وإذا أخذنا كل من هذه
التجريدات بنظر الاعتبار ، ألا يصح أن نأول مع فتر : « أن مثل
هؤلاء الكتاب يصلون على نزل الإنسان في المجتمع ، بداية شخصيته
وفيها في الأسرار بصلة أداة « وجود هالك » و « قوى أصيلة لا شكل
لها .. وهذا النيل لجملة أداة (سرية) في صرح الأسرار الكونية ،
بفرض منه وهو وجه الاجتماعي وحتى الفردي في صياح سرى لديم
منهي إلى لا شيء (هـ) ؟ ونزدي عليه ، أن هذا ليس صورة الواقع
في صرح اللا معقول فحسب ، بل هو جوهر الفرد الذي يمكن
التعرف عليه يسير متى استأنا في مضمونه التفرع الجديد أيضا .

بقشاد

يوسف عبدالمسيح نروة

كلف .. وبينما هام بالحديث وكأله يتم حديثا غائبا ؟ « هل ربح
عاسة أشد وأرفع من تعاستي ؟ لا شك أن لمة تعاستي أشد من
تعاستي في ماضي الزمن ، أما الآن ؟ فوالسي (ولفة) والذني (ولفة)
كلب .. ي (ولفة) انني أربح في أن ينافسوا بفقر ما تنافس هذه
المخلوقات » . لا بد أن من نهاية هذا صلاب ، ولكنه التردد فأنته الله ..

ونألي إلى الكلام على الموت فالأمر به هو لا يتغير ، كما هي
الحال في (منتظار فوفو) . أما الأسئلة التي تثار في الحياة بأسرها
فهي الأسئلة نفسها وكذلك الأجوبة هي الأجوبة نفسها ، لا تبدل
ولا تتغير ، فموضوعات الحياة متجمدة ، لأن العالم كله أصبح طعنا
شماليا أو جنوبيا ، ولم تعد الأنهار فيه أو البحار أو المحيطات غير
قطعة من الجليد هائلة مربعة ، ولم يعد كل ما يصوت على هذه
القطعة من الجليد غير مواد رايح للجنة ذلك أن الطبيعة نفسها تستأنا
فلم يعد لمة طبيعة . تتجدد يصبح إنباء البشر جيما فيخرج الأب
ناغ : « انني أتعجب » ويقول السيد فيومي كلف : « لا أرى شيئا
يحدث » وتفتح الأم نيل من الشقاء فأنته : « هل من شيء أجهت
على السخرية من الشقاء » . ويغرب هام الجدار بكليه ويوقول :
« ألا نسبح أباها القزميد الأجوف » ألا نسبح ؟ « ويرى كلف السيد
المرح والنشوة ، لم ينقل بأمنه وإذا هذه الحشود (صر) وبطيل
التفرق فالأمر بالصر لا يتغير اللال لا شيء ، لا شيء مقلقة .. تسير
يعود إلى البحر فالأمر بالاشرة تقب في اليوم الواحد نزل الآخر ، ثم
يلعب السيد في المياه ، فلا يعود غير النظام من وجود ..

ويستأمل هام عن الأمواج فيوجه كلف التسكوب نحوه ويقول :
« الأمواج ؟ إنها رصاصة .. ويسأل هام من اننفس فيرد عليه
كلف : « صفر » وهذا من الفراغ الذي سيلف العالم ، أنه - على
حسب رأي هام - « فراغ لا حدود له ، سيوفنا جميعا » ولحسن

قبل البحر فرس الشمس وعانقه ،
والصمت يصرعنا نحن الثلاثة ، اذ لا
شيء بيننا سوى تكسر الامواج
وارتطامها وصوت سفينة حربية
تودع الميناء .. اشعلت سيجارة
وحاولت ابتلاع دخانها لأول مرة ،
فقد تموت ان احبسه في فمي
واقذفه اذ اشعر بسخوته تلدغ
لساني سعلت ، فرشني الصديقان
بابتسامتين غامضتين . كل منا
كان يعارك الكاره ، عدنان يسقط
رأسه على حافة مسند الكرسي ،
وينظر الى الافق بشروء .. واحد
يقلب صفحات مذكرته الصغيرة ..
وبعيد قلبها . ولا ادري كيف قلت .
- البحر جميل ..

قال احمد بلهجة غاضبة
- كان سياحك هذا الصباح .
- قلت : هكذا حالنا نحن اهل
المدن التي لا تملك بحرا ..
- قال عدنان دون ان يحرك
رأسه : نظل نسيج .. ولا نفكر
بالفرق .

وعاد الصمت .. السفينة تنبأ
بدلال من الميناء ، وقوارب صغيرة
يجتذبه الشاطئ . حاولت ان
امحو من رأسي ما حدث لي هذا
الصباح فجذرت .. ماذا لو فرقت
.. لماذا اتقني عدنان في اللحظة
الاخيرة . هل كانت غائبة ستيكي ؟
تخيلت اللاموع في عينها النجلاوتين
.. تخيلت ابتسامتها ، شفيتها
ووجهها . لا يمكن ان تبكي ، يجب
ان تظل ميناءها صافيتين تسمان
بالطية .. تحكيان اسطورة آلهة
قديمة . قال عدنان وكأنه يهمس
همسا .

- نحن خلقنا تمساء ..
وانتظرت ان يقول شيئا آخر ،
ولكنه اغضض عينيه كمن يحاول ان
يتذكر ما اذمنه .

- قال احمد : نحن نحمل الدنيا
على اكتافنا .. نظن اننا مسؤولون
عن كل شيء ونحن لا نملك اي
شيء .

واعتمد في جلسته وهو يسير
بيده الى البحر : الشاطئ كان
ملياً بالناس !

وسكت . وادركت انه يريد ان
يقول : لماذا انت بالذات كنت
ستفرق ؟ - قال احمد : نحن
تمساء لا نعرف ما نريد .

لقد هربنا من المدينة آملين ان
نجد حياتنا ، ان نذهبنا بنسج
جديد يجعلها تتحرك ولكن ما حدث
لي أمسك البستنة فجساءة وجعل
حالتنا اشد سؤا مما كنا عليه ،
تسابلت مع نفسي لماذا نحن تماء .
قلت :

- نحن بحاجة الى امرأة تملأ
قلوبنا .

تحدث احمد في بأس .. وبان

الغرق

بقلم جهاد الكاتب

انه يريد ان يبكي .
- قطعنا الخامسة والعشرين ولا
زال كل منا يعلم بانه سيلتقي بفنائه
تجبه ويحبها اننا تكبر سريعا ..
سريعا .. نحلم .. ونفكر .. ونظل
نفكر في امرأة .
بعد دقيقة صمت متشنج ..
قال :

- سموت ونحن نحلم .
اطيقنا افواهنا .. ادخى كل منا
ظفره على كرسيه . وحاولت ان
اشغل نفسي عن البحر والفرق
وصوت السفينة الراحلة .. ومن



الطيور التي تبحث عن الشمس ،
والقوارب التي تتحد على الراسل
لننام باكرا .. ولكنني لم اقدر ان
اتسي الفرق والحب . ان فائسة
ليست بالنسبة الي انى فقط ...
اتسي اميتش كما يجب ان اميتش
الانسان ، ويرداد اعاني بان الموت
والحب لا يقتلها كائن .. هما اقوى
سر في هذا الوجود . لا ادري ماذا
اقول عندما القاهها .. اظل انصت
اليها عياني تماثلني شفيتها
القرمزيين .. تصلي لهما وتقبلان
خدبها الورديين وتسرحان على
شعرها .. على جديلتها الطويلة التي
ضفرتها الملائكة بطور الجنة وينتابني
شعور بانني ساعيش الف سنة ...
وانني لا يمكن ان اموت . قال عدنان
فجاءة بعد ان اعتمد في مقدمه :
- ما رايمك ان نزل الليلة الى
حلب ؟

لم ابد حركة واحدة ، كائني لم
اسمع شيئا ، في حين قال احمد بعد
اطراقة قصيرة :

- ان البحر لا يستطيع ان
ينير شيئا من انفسنا حتى ولو
ظلنا في مياهه سنوات .. ثم
انظروا انظروهما الي ، قلت :
- السفر في الليل خطير ..
والطريق وعر .

وادركت انني قلت شيئا لا اؤمن
به ، فافقتنا ان نعود ، وتلك هبسي
المرءة الاولى التي تنفق فيها على
شيء بعد هذه المرة ...

في الطريق كان الظلام طامسا
كل شيء اذ لم تكن لرى غير اتوار
مجنونة تتخطف بين اللحظة واللحظة
فشعرت انني اقعد في قبر مظلم
انتظر حضور الملاكين ... ولم اصدق
اننا تمود وراعني اننا لم نقض عند
البحر غير يسوم واحد .. كان
سباخذني معه .. كان سيحرمني
من رؤية الشمس ثانية .. من وداع
فائنة التي كانت ماثلة امامي حتى
وانا افرق ولا ادري ان ناديتها ،

ولكنني اذكر جيداً انني تذكرت كل كلمة قالتها لي .. ومرت في خاطري دعة واحدة اشياء متناثرة .. الشمس .. الله .. الماء المالح ، امي ، الديدان ، تابوت اسود ، طيور كبيرة ، اراض جرداء ، كان البحر يحتضني .. اشعر بلذة وأنا بين ذراعيه ، وكان صديقي يسبحان ، يتسابقان ، وأنا اراقبهما حتى اخفيا وراء الامواج الصغيرة ، فاستلقت على ظهري استريح ، ووجهي الى شمس الصباح المائوسة احرك رجلي ببطء .. ولعنيت ان تدمر النشوة ، نشوة الانزال والوحدة ، متغنيا باحلامي التسي اعشقها ولا اريد فراقها ، تذكرت كل شيء احبه في هذه الحياة ولم اعد ارى فيها الكتابة التي تعودت ان اراها .. الحب هو وحده السدي شدني اليه ودايمتي .. منحني كل شيء .. ولم ادر ان الطيور التسي كانت تحوم فوقني تنتظر ان ينطلي جسدي ، وان البحر سيأخذ هدولي .. وتتبع يده فتتخلي عن ظهري .. ظلت احلم .. الحياة امل وحلم ، وتوقع سعيد ، وفجأة غمرني موجة ، ولتتها اخرى اشد عنفاً .. انتفضت ، قدفت بنفسي الى الاملى وصحت .. ثم طرحتني موجة ثالثة .. وصرخت ، ودفعت يدي .. شعرت بالملوحة ففسزل احشائي وتحرق عيني وناديت كسل جنيات البحر .. كسل الطيور ، بالشاطيء بميسد .. والاصدقاء بعيدون ، قفزت مرات الى ان انطقت الشمس في عيني .. حين وجدت نفسي منطرحاً على الرمال مسحت بكفي وجهي المستسلم لاشعة الشمس واصصت انني اميش حلماً وسرعان ما تبعد هذا التفكير اذ سمعت احدهم يقول بصوت مرتفع :

— البحر غدار .. ياخذ في كل سنة شاي ..

وهزنتني فرحة البقاء حيا .. لم ياخذني البحر ، لا بأس ان ياخذ

غيري .. يجب ان ابقى حيا حتى اعرف شيئاً واحداً عن الحياة .. شيئاً بسيطاً من صورها ، ولكسي امرف نفسي من حادثة الفرق اخلت استعيد كل لقاءاتنا .. عددها .. الاواب التي تلبسها ، سخرت من نفسي انني لم اقل لها شيئاً بمسد .. وقد لا اقول لانني لا اعرف ما اقول ولا اقول كل ما اريد .. ولعنيت ان تضننا مدينة واحده فقلت للسائق : — متى نصل ؟ ولعنيت ان يطعنني ... ولكه رمقي بطرف عينه وقال وكأنه يسخر :

— لا يستطيع احد ان يقدر متى يصل ..

ان سرعة السيارة وطول الطريق والساعات المشدودة الى معاصمنا يمكن ان تعطينا فرصة لمعرفة ساعة وصولنا ، والمضحك انشأ لا نستطيع مع ذلك ان نقدر متى نصلي لي لست اراي النيات بحبيب المصيبة .. يا ليت ان تضننا لدية ان الامنة عالم كل .. يا ليت

استغرب وهذاب وكابه ، فيه امل لا تضن الفجة فيه نشوة هزيمة وانتصار .. ثم انفجر حديث مغضب بيننا وبين السائق عن حوادث السيارات .. والزواج والاولاد .. وشجر الزيتون الذي لا يسقط ورقه على الشتاء ، وصمتنا حين قسال السائق :

— في هذا الوقت من الليل يعود كل الاباء الى اولادهم ..

وصعد زفرة وتابع :

— لا اعرف ان كنت اسعد ..

ميا السائق قلبي بكتابة جديدة .. لماذا تحمل هذه الدنيا على رؤوسنا ان ما جرى فيها لا دخل لنا فيه .. لماذا تقضي الساعات نتناقص ونحن اصغف من ان نقدر ساعة وصولنا لماذا نبتائنا شعور باننا نخسر في كل يوم شيئاً ؟

لماذا لم امت اليوم صباحاً .. ماذا لو كنت مت ! هل سيتغير

شيء في هذا العالم .. هل ستقف السفينة يوماً آخر في الميناء .. ان الشمس ان ترقض السقوط في البحر ولي تلذوب الامواج او تركد المياه .. لن تتوقف الحياة .. التفت الي السائق وبدأ يريسه ان يهتمني بشيء .. قال :

— اليوم كان احدهم يفوق في البحر ..

وخيم صمت مشحون بنداوات واستمرارات كئيبه .. وتابع بمسد دقيقة :

— عجيب ! كيف ينزل الانسان الى البحر وهو لا يعرف السباحة ؟ .. له عمر .. فهو لم يمت .. قلت بصوت مرتفع : ماذا لست مات .. ان شيئاً واحداً لن يتغير في كل هذا العالم ..

اشعل لي صديقي سيجارة .. ودخل هواء سريع رطب عن النافذة ، يلهب ذخانها .. وصلمت حتى شعرت ان حلقتي قد جرح .. وترافقت السجارة بين أصابعي .. قال السائق :

— رائحة حريق !

انتفضنا .. نظر كل منا الى ليابه .. فوجدت في صد رقبتي دائرة صغيرة تشتعل ببطء .. ووضعت كفي عليها واعتصمت القميص وكانني افقد شيئاً .. ان فائنة معجبة بهذا القميص ، وأنا احرض على ارتدائه دوماً لانه يذكرني بها .. وشعرت انني احبها بجنون .. واعترفت اسام نفسي انني جبان .. انني اخاف عليها من الغبار .. من الشمس .. وانظاها انني امقتها .. كنت ساموت دون ان اترك انرا او تدري انني .. انني لا استطيع ان ازيل صورتها من خيالي .. قلت للسائق : ألا يمكن ان تسرع ! ..

فاجابني عن رغبتي دون اعتراض .. ظل الصمت يدفع السيارة حتى ابتلعنا شوارع حلب .. اقترننا بتحيات مقتضية .. وعندما حاولت ان اثم .. فشلت .. كان زفير

قصائد في المعركة

يا حبة القلوب •

صورة

ومن خلال النار والدخان
بين سحائب الرصاص والفبار
رايتها تغلب الحجار
وتنبش التراب
تبعث - والاسى يرجعها -

عن طفلها الوحيد

تصبح : « يا اسود

لا ترهبوا الحديد والميبد

ولا تنزع القراب »

رايتها في حلقة النهار

رمزا لقلمة الصمود

كر وفر

حين تكسرت سيوفنا
وخيمت على ديارنا القتل
وانسحب الضياء
خلف الافق البعيد
واكتست التلال
بالدم والاباء
قال : غدا نعود ، والحياة

كر وفر ،

اين يصبح الطفلة

حين تهب للقتال

جحافل الرجال

وحين تقصف الرعود

رضوان عقل

دعشق

الى القنيطرة

معطرة يا قلمة الاسود

ان دنست ترابك الطهور

شرادم التار

معطرة اما تجول السكاري

او راح لص يفتح الابواب

في ظهيرة النهار

ويروعب الاطفال والنساء

معطرة اما تجول السكاري

عند هداة المساء

بين البيوت دونما رقيب

معطرة ان انتظرنا

نجمة الصباح

لنسترد وجهك الباح

الرمال والسباحة •

غسلت وجهي .. حاولت ان
اسمع لحنا ، اي لمن • ولكن كل
ما في الغرفة كان يصرخ .. حتى
ثيابي .. قميصي يصرخ • تخيلت
ما كان سيحدث • البيت يصبح
ميكى • والاصدقاء يضمون اكاليل
على قبوري ويسرقها التربي ويعيدها
الى بائع الزهور ، ويقبض ثمنها
.. حتى الموت • يصبح ربحها
للاخرين • سينسانني الاصدقاء ،
واصبح حكاية ، قضية عتيقة فسي
ملفات الشرطة او خبرا في زاوية

البحر في رأسي .. السفيشة
الراحلة تصرخ .. القارب اليتيم
يصرخ .. الطيور تصرخ .. وكل
الناس يصرخون « غريق » « غريق » •
ضممني خوف مترايد .. خوف لا
استطيع احتماله • اومضمني ذاك
المصير ، الماء المالح قسي احشائي
.. واذا ناي مسدودتان • انا جثة
منتفخة .. الدود ياكلني ، وانسا لا
اتحرك ، الدود يمتصني .. يمتصني
وتتكشف عظامي !
كرهت الماء .. كرهت اللسון
الاخضر ، والازرق .. وثقيات نفسي

حقيبة من زوايا جريدة مفهورة •
بلت اللموغ عيني .. طمرت
وجهي ، انني ابكي • خوفا على
نفسي او فرحة لانني لا ازال حيا
.. لم اكن اعتقد انني احب الحياة •
تمنيت الموت اكثر من مرة واشتهيته
مرات لانه يتقطني من عذاب لا اعرف
مصدره • لماذا يفرق الانسان وهو
يعرف السباحة ؟!
بكيت .. بكيت لانني اكتشفت
انني امتلك ما هو اقوى من الموت •
وما هو اقوى من الحياة •
حليب • جهاد الكاتب



١ - دراسات في النقد والادب

تأليف الدكتور لويس عوض - مجموعة أبحاث - ٢٩٤ صفحة -
قطع كبير - مطبعة الجليل للطباعة بالقاهرة

من الكتب التي صدرت حديثاً للدكتور لويس عوض ، مؤلفه المصنف « دراسات في النقد والادب » ويسمى نالهما كتابه الى ذميمة القسام ، في الادب والمجتمع - في الشعر - في المسرحية - في القصة . يتناول في القسم الاول شخصيات لعبت دورها الكبير في اعطاء فكرة بعض قسماها المعروفة ، مثل عبد الرحمن بن خلدون واحمد لطفى السيد ومباس محمود العقاد وسلامة موسى وشفيق غريال ، عيسى جالب الطيفي احمد علي « مصر والامبراطورية الرومانية في عصر الاوراق البردية » وكتاب احمد رشدي صالح « في الادب الشعبي » . وفي القسم الشعري يقدم نالهما طرق الشعر الجديد الممدود من خلال ديوان صلاح عبد الصبور « اقول لكم » . ثم يعرفنا « في جبهة القليب » كثر فارس ودراسة اخرى من صاحبه ايضا ، و « الزمان للتمساح » حسين حليف ، و « ابن الانسان » لجبران خليل جبران فرجة ، لروت كاشف . واذ انتقلنا الى المسرحية وجدناه هيرس « انا طالع النجدة » لتوفيق الحكيم في مقالاتين ، ثم « قبة الحب » لتقليس الخولي ، و « السبينة » لسعد الدين وهبة و « بيت القوافي » للكتاب الانساني جابريل لوركا ، و « مشاة جميلة » لسيد الرحمن الترقاوي . وباني القسم فرائح والاخير لتقرأ داستين من نجيب محفوظ ولصمصمه في « القصر والكتاب ويحسن القصرين » ، وكذلك اللانتمنى يحيى حلي في كتابه « غفوات في النقد » و « حداث شرف » ليويسف ادريس ، ثم اخيرا « شلة الانس » للاديب الحزين د. مصطفى محمود .

ان من قسماها الوجود ما تبدو نائبة بعيدة القور تصعد ملاحظ الشخصية وتبلور افعالها ، اما الجيلي الاخر من هذه القسماها فهو حائل اللون ضيف الآثر لا يتبع بجملة . ومن القسماها الاول في وجه لويس عوض ، جذور الملقى .. التراث القديم الذي لا يجب ان ينكر لطفه واحدة . ويظهر الى ان هذه القصة الاولى عند نالهما الكبير والتي تنكس في كل ما يكتب شعرا او نثرا ، مسرحية او نثرا . فلا يمكن فهم القاصص فهمه جيدا الا بدراسة القديم واستيعابه تماما ، ولا كان يلا بلا اساسي ماله الاثير . ويظهر من ظن ان لويس عوض يعني بالقاصي ، مرحلته القروية فحسب . فهو يعني ايضا القصة والمؤلفة في العهد . فهو يرى جذورها تمتد الى مراحل ما قبل ادبنا التوحيد .. الى عصر الوثنية كذلك . يؤكد له ذلك القناعة الشعبية وكفاحه الاستعمار على مدى اعقاب التاريخ الطويل ، كما يؤكد ايضا .. الادب الشعبي .

ولا ينبغي غفلتنا بالاشارة الى هذا الموضوع لو دراسته فحسب ، بل انه ليعود مثقلنا الى مشاركته مسؤولية هذا القلم . فهو مثلا يرى ان الخطوة الاولى في سبيل بناء اورنتا هسي « الكشف عن شخصيتها المعقدة جودرها في اعماق تراثنا وفي جوفنا وفي الانسا

وفي اماننا تنفخ موضوعيا بيننا على فهم النفس وعلى تحقيق السذات وتزويجها لا اكتشافا لثافتا يقوم على اوهام القور « (ص ١٧٢) . واذ كان لا ملى للبحث في جذور القاصي بلا انكفات الى اصحاب هذا القاصي نفسه ، فقد كان القاصي ذاته هسو العاصي السليبي يستلطف اهتمامات لويس عوض والهدف الواضح الذي يرنو اليه في مشاركة وغير مباشرة ، لذلك كان القاصي هو الجلل الذي يستشعر القارى وجوده

كل عمل كتابي . ومن الطرف ان اوضح مثال يمكن ان يعكس هذا الجانب عند صاحب « دراسات في النقد والادب » هو الادب الشعبي . فعن اراء مواطن يتفلسف وفتية ومتفقد يتقد حماسا وتشتمل كلماته نودة .. اول مظهر من مظاهر النفاذ هسي اعتراف الادب الرسمي بالادب الشعبي فلا اعتراف بآداب الشعب هو اعتراف بالشعب ، فلويس عوض لا يفهم كيف يتفق القامة مجتمع الشعب فيه ركن لا يتمزق فيه بتناقض المعروفة ، مثل عبد الرحمن بن خلدون واحمد لطفى السيد ان الادب الشعبي يعني الادب التقليدي ورفه واصالة فما هنا مجال الحكم او التقييم ، ولكن ازم ان الادب الشعبي رغم العصور من وجوده كثيرة فيه من مواطن القوة والصق والجلال ما يستحق الاحترام والزم ان اعترافه احتقار لآداب الشعب ولصغير الشعب ولوجودهم في الشعب ، وهو امر لا يتفق مع ايماننا بان فطرة الشعب سليمة خلافا لزم كل ما عليه من غيار الفقر والجهالة . ولا تصعب هذه القناعات للتخصص من لويس عوض اذا عرفنا ان اول كتاب اصرده نالهما وهو ديوان « ملونال » الذي دعا فيه الى تعليم عمود الشعر ، واذنا فيه فقيمة الاهتمام بالادب الشعبي ، لد سبيلته محاولته التي لم تكتب بل لتفاجى وحى طبع ما نشر من الشعر الشعبي من افواه الناس بنية دراسته في جميع جوانبه .

ويسوقنا هذا القصد الى القسمة الثالثة في كتابات لويس عوض ، وهي التي يحكمها المصير الديني .. فمن الاشياء الكثيرة في حياتنا التي في حاجة الى المراجعة ، نلقيها تقييما دقيقا نالها الى اعمالها مكتشفة حقيقتها لتفهم في مكانها المناسب ، ازم ان القناعات في زعم روحانية الشرق . ومن الطرف ان الكثيرين منا يعتمدون في ذات هذه الروحانية على قوة سلطان رجال الدين وكثرة الدواوش المسوذين وانتشار « اولياء الله الصالحين » اعيالهم وموالمهم ، لنعل ذلك متجاهلين مראה اصدق في الدلالة والتعبير من هذه الروحانية وتصوير المكاشها ، مثل الفنون والاداب ، واذنا ببعضنا في ادبنا المعاصر وخاصة في اتاج هذه السنوات الاكيرة بالافات ، فلنا تصد ونعسن لا تكاد نجد اثرا قويا لهذا التأثير الديني ، يعكس الادب الفرنسي « المادي » ولا يفوتنا في هذا الموضع ان تقرأ بين شيعين يسودون متساخين ويختلف ملوهمها عند الكثيرين وهما ، تعري الاصول لتتناول موضوع ديني ، وسرمان الزوج الديني في كتاباته جمعا .. الاول يعطل اهتماما وقتنا مائرا وديما غير اصيل او غامر في شخصية صاحبه ، والثاني يكشف عن مادة اولية تشترك في تكوين شخصية الاديب . وفي اغلب الاحيان نستشعر النقص في وجود اللو الثاني الذي يفسح - ان هذا النقص - عن ضعف الصلة بين الفنان والقيمة الدينية ايا كان شكلها . ومن الكتاب القليلين عندنا الذين يمكنون قوة هذه الصلة ، نجده مثلا بعد الحبيب جودة المسمار ود. بولس مسموني . يكون اللو الثاني في انتباهه القسيم الاجلامية ويبدو الشباسي قيمه فيلجته . وقد عالت هذه البؤرة الدينية في بعض الاحيان من الموهوم الخاطيء الذي يتم ظهور هيدا الانكاس الديني بالتصعب والتفرقة الدينية ، ولا يلتفت الى ان القيمة الادب ايضا



الاربع

لا يقبل الاشتراك الا من سنة كاملة بمؤها شهر
يناير ، كانون الثاني
تدفع قيمة الاشتراك مقدما وهي :

الاشتراك العادي :

في لبنان وسورية : ١٢ ليرة لبنانية
للمؤسسات والشركات والدوائر الرسمية : ٢٥ ل.ل.

في الخارج : ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد العادي
٥ ل.ل. او ما يعادلها بالبريد الجوي
في الولايات المتحدة : ١٠ دولارات بالبريد العادي
٢٠ دولارا بالبريد الجوي

اشتراك الانصار

في لبنان وسورية ٢٥ ل.ل. كحد ادنى
في الخارج : ٥٠ ل.ل. او ٢٠ دولارا كحد ادنى

المقالات التي ترسل الى الاديب ، لا ترد
الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر

للاطلاع تراجع ادارة المجلة

ويعد لها اشد حاجة القاري العربي الذي يشكو من فقر مكتبته
العربية التقليدية العديدة ، الى نشاط وهماس كل ناقد عربي يسهم
في اراء هذه المكتبة المسكينة التي تتصور جودها ومزالا ..

اتوجه جميع الرسائل الى العنوان التالي :

مجلة الاديب - صندوق البريد رقم ٨٧٨

بيروت - لبنان

صاحب المجلة ورئيس تحريرها ومديرها المسؤول
اليسر ادب

وصدق صاحبها مع نفسه يجب ان تنكس صلة الفنان بدينه . وليس
اكثر من موضع في كتابنا هذا تبدو لمسات لهذا الامر ، بعضها واضح
كما في دراسة لويس عوض لبشر فارس مثلا ، وبعضها لا تلمح عليه
المنظره الاولى كما في تناوله لابن خلدون ..

ولا شك ان مؤلفنا بتألفته المستوعبة ونظرته النكاسة ومنهجه في
القدرة ، قد قدم في مجلده هذا الكبير ، الكثير في شتى الالوان .
وفي كثير من النواضع في الدراسات في النقد والادب ، يصل صاحبه
الى احسن مستوياته ، كما في اشداده بابسن خلدون المبشر بالانسان
باني الحضارة (ص ٥٠) ولطفي السيد بين حكم الصوفية وحكم الشعب
(ص ٨٥ - ٨٧) . والقاد وقوله في شيابه بجميته التفكير الاشتراكي
(ص ٩٦ - ٩٧) ، وحياة شفيق فريال الخاصة (ص ١١٧ - ١١٩) ،
والسيرة من الادب لهادف بشمارات كفاحه وكلاح شماراته (ص ١٨٢) ،
والشاعر صلاح جيد الصبور والاشراق (ص ١٨٩ - ١٩١) ، وبشر فارس
وسود التهام في اديه وحياته الخاصة (ص ٢١٢ - ٢١٧) ، وحسين
عفيف وسبب التواؤيته (ص ٢٢٢) ، ولزوت كشاشة وقاهرة حركة
الاحياء الرومانسي (ص ٢٢١) ، وتوفيق الحكيم والفلسف الشعبي
(ص ٢٢٩) الخ ..

وقاري « دراسات في النقد والادب » معرض في بحثه عن رؤية
لويس عوض ومنهجه الادبي والفلسفة الفن ، لمدد الاعتماد سرعا الى
فهم محتاج كتابه . وذلك لخصامة حجم الكتاب نسبيا - حوالي ٥٠٠
صفحة من الطبع الكبير - وكثرة موضوعاته المتنوعة ، وخاصة في
اعتمادات ناقلنا الكبير بالتواهي التتاليه . الا ان مصدرة لويس عوض
المعروفة الى ادب وفي في سبيل الحياة والمجتمع ، لا تثبت بان تصل
عاكسة فيها الصحيح في هذه المجموعة من الدراسات ، ولا تصيد
منها . يقول فلاننا في مقدمته .. صاحب هذا الكتاب ممن يعتقدون
ان هناك علاقة عضوية بين كل مجتمع وما ينتج من ادب او فن او فكر
دون ان يجملة هذا الاعتماد بنفى من أهمية التكوين الفردي في توجيه
الاديب او الفنان او المفكر . وصاحب هذا الكتاب لا يعلم المجتمع
بالعلمي المحلي الفصيح ، وانما يفهمه بالوسع مجتميه حيث تتماثل روح
المصر كله وروح الانسانية جميعا بروح المجتمع الذين الحدود به حدود
الزمان والمكان ، ولذا فهو يؤثر دائما الحديث عن العلاقة العضوية
بين الادب والحياة ، فالحياة اهم من المجتمع وتصلها تنسج للوجود
الفردي والوجود الاجتماعي متداخلين ، وتنسج للوجود القومي والوجود
الانساني متداخلين ، وتنسج اخيرا للعالمي وتراثه وجماليته والثقافته
والمستقبل واعلمه عجت كلها في صيغته واحدة .. وتكتمل صورة
الناقد والدارس لويس عوض بمؤلفه من المذهب الادبية المتفائلة ..
الا لا يلتزم فحسه للحجب دون آخر ، فشرحات الطول والتراتج الانسانية
منده جميعا على حد سواء شريفة ان تكون نافعة ، ايظا كما يقول
شكسبير في الملك لير « النسخ هو كل شيء في الحياة » .

ويعد لها اشد حاجة القاري العربي الذي يشكو من فقر مكتبته
العربية التقليدية العديدة ، الى نشاط وهماس كل ناقد عربي يسهم
في اراء هذه المكتبة المسكينة التي تتصور جودها ومزالا ..

٢ - أحمد شفيق المؤرخ ٥٠ حياته وآثاره

نايف دكتور عبد العزيز رفاي - بحث - ١٨٠ صفحة - منشورات
لدار المصرية لتنايف والترجمة - مطبعة مطيع بالقاهرة .

يستثمر المراء في كثير من الاحايين حاجته الشديدة ازاء عدم التغطية
في المكتبة العربية الحديثة وبالتالي فقرها في بعض الالوان او الفنون
الى الانتجاع الى ما يشبه ايمان الصيحات في تبرير الاشياء غير المألوفة ،
وهو أسلوب مهمما كان الضمك عليه يلي بالفرس في مثل هذه الاحوال
بعض القاري مثل هذا الخاطر وهو يحاول ان يعالج التناظره ربع قرن

من الزمان على وفاة علم من مؤرخينا المصارعين هو أحمد شفيق (باشا)،
ليصدر أول كتاب منه بقلم د. عبد العزيز رفاعي !

ولقد كان أحمد شفيق من الشخصيات التي يصادف عليها ، أنها
تلا السمع والبصر حقاً ، فلزم ينه على ربع قرن كان الترجمة له
يشابه في صنع بعض ملاحظ معرنا القديمة بالتشعر ضمن أسلوب .
فلمنوبات طوال كان هو السلطان غير المتوج أو الرجل الثاني في بلدنا
بعد خديو مصر عباس حلمي ، يشرف على القصر الملكي ومن بين عديده
تخرج أخطر المرازقات . وإذا عدنا في مجال السلطة أو السياسة
وجدنا لشفيق أيضاً مساهمته الفاعلة في ميدان آخر له خطورته ، وهي
كتابة تاريخنا المصارع . فكان جهده الذي لا ينكر في ترسيم مدرسة
المؤرخين العربيين بمذكراته وحولياته .. وكان لتألفه الرجل المتكسبا
بغير غير قليل كذلك في مجالات التعليم والصحافة والأوقاف والآثار .
ويحتوي (البحث على باين ، الأول (حياة أحمد شفيق) ويسم
فصلين هما : نشأته وحياته الدراسية ، وندرجه في الوظائف والاصطلاح
على نخل السياسة . والبايات الثاني (آثار أحمد شفيق التاريخية)
يفصله السيرة وهي ، أحمد شفيق وكتابة المذكرات التاريخية
- مذكراتي في نصف قرن - التمهيد لحوليات مصر السياسية - مؤلفات
أحمد شفيق - آراؤه الاجتماعية والتألف - صفاته ووفاته .

وقد عمد دارسنا في القام الأول إلى أن يطرح شخصية أحمد
شفيق ، وأن يجيب على التساؤل الذي يشكك دائماً بصورة ما في
أصالة هذه الشخصية وطيب معنها ، بإحسان في حقيقتها . لقد كان
أحمد شفيق يبدو في نظر الناس أحد رجلين ، رجل الحاشية الأمين
لسيده إلى درجة المعاهد الدالية ، أو الوطني الخبير الذي شاء له
سوء طالع أن يوجد وسط دسائس القصور . ومن الباطنة في كتمان
الصوريين اعتزت ملاحظ صاحبنا ، وقد حاول د. رفاعي أن يحدد الملامح
الطبقية الثانية ، فقدم هذه الصورة الدالية التي تبهر حقيقة
الترجم له .. « كان أحمد شفيق كسافي موفلي العسري في ولايته
لعباس ، ولكنه كان في ذلك بزرع من طيبة خاصة فلوها مروج من
حيه الكبير والاعتدال والشعور بالكرامة . وقد أله ذلك في مقدار ذلك
الولا له فكان ولاه سلبياً في كثير من الحالات من حيث اتجاه عباس
وانحرافه عموداً من هذه المبادئ ، وإيجابياً في اتجاه الخديو لقاومة
الاحتلال مثلاً أو مع الصالح العام . ولم يكن لأوله بهذا لباس حربي
دالماً ، ولكن في إطار هذه النزعة التي كانت تركز على هذا التزج من
المبادئ ، وكانت تلك الخمسة في حياته الرسمية والخاصة على حدة
سواء بشكل ألفت على آثاره لغة واتزاناً » (ص ٢٠) .

وقد تميل بحث د. رفاعي بسفاه معينة أهما ، محاولته المحاكمة
ربط كل حديث يتناول أحمد شفيق سواء في خصوصياته أو عمومياته
بمنهج الرجل في كتابته التاريخ وإسفاف روح الثقة بإمانيته وعدله
وحياده . فدانته مثلاً آراء شخصية الخديو عباس انكسبت باتزان
في تزييفه (ص ٤٨) ، وإفلاسه الوفاي في موقف كمالش الأتصر
(ص ٢٤) فون مذكراته التاريخية ينسب الضمير .. وهكذا .
الدرجة التي يغضب فيها مؤلفنا على هذا كله بقوله « لقد ارتفعت
حياة النشأة والاصداد والحياتية الصلبة والتدرج في مناصبه بمقتصد
أوان النشاط ، بحياته كموذج ، فكانت الحياة الأولى جزءاً منها مثلاً
أن كانت السبليل إليها . كذلك لم يعد دارسنا إلى التمثل في تحليل
مواقف الترجمة له وسلوكه وتجديدها بتوالي صرامة متصصة . يسأل
عمل على متابعة تطوره وما ينشله فسفد الأحداث على هذا التطور بما
تعلي من أخطأ موفف تقليدي تستند به أجواء البلاط أو متطور تفرسه
على أخلاقيات صاحبنا الشخصية .

وطريق غير مباشر يشير كتاب د. رفاعي بأسلوب تناوله قضية
عامه هي ، إعادة كتابة تاريخنا الحديث ، وهل من الضروري أو العتم
حقاً أن تقوم بهذه المهمة أم لا . فيقدم دليلاً طبيياً على أن الضمون مهما

كانت موضوعيته فهو يتأثر بشكل ما بالمعهد الذي كتب فيه . فالحقيقة
حتى إذا استطاع قولها فهي يمكن أن تتر أو لا تقال كلها .. وأن المؤرخ
مهما كانت نزاهته فهو يرضخ بشكل أو بآخر بنظام الحكم النطق في
إياه خاصة إذا كان المثل له أي الحاكم مستبداً . ويرى « أحمد
شفيق المؤرخ .. حياته وآثاره » أكثر من مثال على أن النظرة المتحيزة
بتأثير عهد متأخر تقدم المزيد من الحقائق والإبعاد .

ويبدو أن مؤلفنا قد إصمه لا يعرف القاري العربي كثيراً أو
قليلاً عن أعمال المؤرخ أحمد شفيق ، فطابع هذا الأسلوب الذي يعتمد
على العرض التفصيلي كما يشتمل عليه كل كتاب وكل جزء خطه المؤرخ
وخاصة حولياته في تناول هذه الأعمال . وهكذا استولى هذا العرض
التفصيلي على أكثر صفحات الدراسة ، مما أتهم - أليس الظن -
حيزاً غير صغير مخصصاً لمنهج شفيق في التأليف التاريخي وإلى أي
مدرسة ينتمي مع مقارنة بمؤرخينا المفضلين ... الخ .

والإشياء القليلة التي يمكن أن يختلف المثلي مع د. عبد العزيز
رفاعي بشأنها ، تنقسم إلى لونين ، الأول ويتصل بأسلوب الدراسة
نفسه الذي لم يتم اهتماماً كافياً بالتصحيح والمزيد من الدقاعة واستكمال
جوانب البحث مثل روح العصر ، وفكر أحمد شفيق ، ومدى تألس
الترجم له بالبحراني .. الخ . وباعت ذلك على ما يبدو أن مؤلفنا لم
يرد أن يقدم « أحمد شفيق المؤرخ .. حياته وآثاره » لغير القاري
العادي . واللون الثاني ، هنات قليلة مثل ما يتصرف له في التعبير
في بعض الأحيان من عدم استقامة حتى يغضب المثلي . وكذلك أفعال
بعض ملاحظ الترجمة له كتشفيق صفحياً مثلاً أصدر « صحيفة الاعلانات »
أو مثلاً كان يشرف على مجلة جمعية الأربعة الشرفية .

وعلى الرغم من هذه الهنات فلا ريب أن د. رفاعي قد وفق في
تجسيد شخصية أحمد شفيق ودراسة آثاره في الحدود التي رسمها
لذلك .

المختصرة - ج - ع - ح - م

علاء الدين وحيد

١ - ذكريات الحكيم

عرفنا معالي القاضي التزيه العادل الأستاذ يوسف الحكيم (موففاً)
مرقوق الكفاية في كافة المراكز الحسامية التي شغلها إبان العهدين
التركي والعربي و « ذقراً » مثالياً من بان الحكم نصفيحة وإماناً ..
(اسماً) حمل بين جنبه فسيفرا حيا لينفخ نواحة وينتري نقوى .
وكان من جرة هذا الشيخ القويور أن أقدم غير هباب ولا وجل ،
بينما نطالع غيره من سلسلتنا الذين علوا في الحقل الوفاي ، على
تدوين مذكراته وشرها في ثلاثة أجزاء ، وقد تناول في الجزء الأول منها
« سورية والعهد العثماني » وفي الجزء الثاني « بيروت وبيتنا في
عهد آل عثمان » وفي الجزء الثالث تناول « سورية والعهد الفيلسفي » .
وكان الصيد الذي خرجت به من هذا الطواف الشقي الضفوح
موففاً دسماً ، وكانت حبيبة مقلعتي لفسدة الأجزاء الثلاثة دالية
الطوف ، بالإضافة إلى قاطرة بارزة جدية بالتدوين وهسي انصاف
الأستاذ الحكيم لكلمات من كلام العهد العثماني الذين زاملهم وعصف
وإيهم في الجالين الفيلسفي والآثاري ، وإفراؤه خصالهم المصطنعة ،
وبرصهم من الشروء ! بينما الشائع لدى من عاصروا المصطنعين وفروا
تاريخ حكمهم فهو قسمة القلوب غلاف الأكباد .. لا يتفرغون من
إجترار الحويقات والثراف الآلام ، وإتهم افولوا ، خلال حكمهم الإفطار
العربية ، بسلب الخيرات ، وفرض الاتوات ، وقبض الرشوات ...

لكن الأستاذ الحكيم يذكر برشته التجرد والانصاف ان في عدد اولئك المؤلفين الاثراك رجالا مؤمنين ... انصموا ببعيل الله ، وعرفوا طريق الحق ، وحكموا بين الناس بالعدل ، ورفضوا من صفات الحياة ، ونظروا الى مفريات الحياة نظرة استبصار وانذار !

والأسلوب الذي دون فيه الأستاذ الحكيم مذكراته جاء أسلوبا رفيعا ينم على انه ادب دوافع يجمع بين الرواية والفتنة عمق الفكرة وبراعة الصورة ، ولو قدر له ان ينولي وثلاثة شعير جريدة يومية كبرى « الأهرام » مثلا كان كاتبها سياسيا لبقا بمتنق ، ينتظم وتناوب السياسيين امثال ابرسان والجميل وزيكات وجبران التويني وفتح الله الصعلان ويوسف العيسى في سبط واحد .

والشبه الذي اذكر على الإشارة اليه ان الأستاذ الحكيم تقسم بمفرده صفوف اخوانه الماملين معه في الحقل السياسي ، بينما نحس هؤلاء من تدوين ذكرياتهم ونشرها يمشى حرصهم على صداقات تربطهم ببعض اخوان لهم ، وقد فاهم ان المذكرات السياسية هي تلك للتاريخ الذي من أبرز مهامه اطراء حسنت الحسن وشجب سيئات السيئة .

ولا شك في ان ما اقدم عليه الأستاذ الحكيم يتميز بالافحام والرجولة ، ولم يبداه في هذا المجال اي قسم تدوين المذكرات السياسية ونشرها وهو على قيد الحياة ، سوى نفس قليل من رجائنا الذي منهم على سبيل المثال لا الحصر : عبد الرحمن الرافعي واحمد شفيق واسعد دافى في مصر ، وفي الهاشمي وفاضل الجمالي وروفايل بطي في العراق ، والدكتور عبد الرحمن الكيلاني وحسن الحكيم وفتح الله الصعلان في سورية ، وذلك عبد الله بن الحسين في الأردن .

ولو هذا رجائنا الماملون في حقل القضية العربية حلو الأستاذ الحكيم كان لهذا القضية مصيد غير هذا الرصيد ، ولعرف كالمجبل الصادق وجها تكتب بالبعد المسؤول ، وحاتت القناعة وكانت عينها وصفا لاجنبي النضيل !

بعد هذه المعالجة لي جاءه اوجهه الى صفالي الصديق الاستاذ يوسف الحكيم هو ان يتقبل ، باسم تاريخنا المعاصر ، يعني من الاعمال على هذه المذكرات التي خصلها في ثلاثة اجزاء على الكتبة العربية ، وقد تميزت بالجرأة وقول الحق والجهر بالصوت !

٢ - الحياة والشباب

هذا سفر جليل فرمت من مكافته بهوس ولسلة وخرجت مصحبا بالموسوعات الفريدة التي طالعها المؤلف بلطفه ، وسادت نفوسا صبا حملني على الإعجاب بهذا اثر المانع فغصت اورد انشائي وقد وهو : طرافة الموضوع ورفاهة الصورة التي خصلها المؤلف على لفصول الكتاب! كل هذه الصفات التي اشرت في الإعجاب بهذا الكتاب الذي وضعه بالانكليزية الدكتور اريك زعيم وتلقه الى العربية الكاتب الكبير معالي الأستاذ محمد ادب المعري وزير التربية والتعليم في الأردن ، وعرض في موسوعات طريقة جمعت الى بحث العمر الطبيعي للانسان معنى الابدية ونفاذ الخلطة ، او ما سمونها الانسان التاجي ، الى بحث السرطان ، هذا الداء المستشري ، وطرق التحليل عليه ، كسبي تجنير الهرم من سر الهضم الى التهاب القصبات الرئوية ، كسبي تعديد الشباب والاحاط التي تنجم من تعبد الانسان بعد مثل طويل ، كسبي وجبات الطعام والواند التي يفتنه الانسان من التمارين الرياضية .

والتمسحة التي اوجه بها للقارئ كتابه ان يقرأ هذا الكتاب الطريف ، استلذا كان او طالبا ، وانما كان او اما ، فحييا كان او منهدما ، فهو يصلح لكافة الاعمار بلغة الاستاذ المعري الذي احسن موضوعه الطريف سيماركتي الانعبار بقلم الأستاذ المعري الذي احسن الاختيار ، وابتدع في النقل ، وسيتوجه معي الى شكر معاليه على هذه الطريقة المونة ورجاله الاقبال على الترجمة والتأليف ، فحياله فيهما

رحب فسيح ، وسوفه دوما رائجة ، وتجارتها رابحة ، ونظفوه باعثة شهية !

٣ - القاضي الجرجاني الاديب النافذ

هذه دراسة قيمة سفا بها قلم الاديب المتقن الدكتور محمود السرة احد دعائم ادبنا المعاصر والمامل في حقل التأليف بصمت وهجوم . وفي هذه الدراسة الممتعة تناول الدكتور السرة ، احد اساطير الادب العربي في المرحلة الأردنية ، القاضي الجرجاني (١٩٢٢ - ١٠٠٠) وحاول ان يربط بين هذا الاديب وعصره ريف تفسير وتطيل وتطيل ، ويسعى الى جلاء آرائه النقدية وبين مدى اصالتها ، وقد صلة بينها وبين مثيلاتها في النقد الفني بالقرب .

والواقع ان الدكتور السرة اصحاب الهدف في كل ما نذب نفسه له ، وحسبه هذه الفصول الاربعة التي خص بها هذه الدراسة وكرسها لدراسة « الجرجاني وعصره » من سالي الابدان والجوانب .

واذا كنت ايهما القارئ الطيب القلب من طالعوا للدكتور السرة عرضه الشهري لكل كتاب يتناوله بقلمه في مجلة « العربي » الشهيرة ، فستصافك فيبحثك منما تقبل على قراءة كتابه من القاضي الجرجاني .. عندنا نسهم مع في شكر الاديب على طريقة التي موضوعه طريف كرسف لك فيه عن نواظف جديدة للنقد تكسب ادبنا المعاصر صحة وعافية ، وتعود عليه بالتجديد وتطعمه على براعة الحديث من نظرية السرفسات الادبية وانواعها ، قبل الجرجاني وعنده ، ونظريات السرفسات الادبية عند الدكتورين العرب .

وقيل ان اعود الى شكر الدكتور السرة وفرز يده ، اعرض في ذلك فلا : حذار ان تولدت مطالعة الكتاب الذي نحن بصدده !

٤ - ادباء الكويت في قرنين

من لقى الاديب الكبير والشاعر الرفيق الأستاذ خالد سعود الزيد ، احد دعائم ادبنا المعاصر في الكويت ، عرف فيه الفيرة على موضفه وجولحه الى المعاصرة بكل اثر من آثاره . « حتى « الاثلال المعامية » فقد اولها « خالد » اهتمام وصف فيه كتابا صفحا بعد في الاشمال المعامية في النظر الشفيق وقاربه بها بقائله من امثال فريية او آيات قرآنية او احاديث نبوية .

والكتاب الذي نحن في الحديث عنه هو الجزء الاول من سلسلة « ادباء الكويت في قرنين » وقد استيله المؤلف بفصل من تاريخ الحركة الفكرية في الكويت خلال اربع مراحل ، وغلف منها الى تسجيل ترجمة لفيال كل شاعر او كاتب كويتي ، وجزها بنماذج من نظم ذلك الشاعر او نثر ذلك الكاتب ، ايمانا منه بان نضاج كل ادب هو مفتاح شخصيته ، وحنونا بيته .

وتعصيا للقائفة التي توخاها الأستاذ خالد فقد دليل كل فصل باسماء الراجع التي يمول عليها في كتابة ذلك الفصل ، واهم ما اعتد به هذا السبيل المخطوطات التي دونها الرجوم والده سعود بن محمد الزيد بقلمه والراجع الادبية والتاريخية التي احتفظ بها ذلك الوالد الماكد في خزانة بيتهم المعاصرة .

لا شك في ان العمل الذي اضطلع به الأستاذ خالد الزيد لمصمل جبار يسبق التهنئة من كل ادب اميل في السبيل العربي ، وتقدير الموهلة لهذا الجهد المبارك ، ولينقل منا الاخ الزيد نهضة قيمة متفقدية ورجاء وهو اخراج بقية الاجزاء من موسوعته الكبرى ، وسيدكر تاريخ ادبنا المعاصر اي جهد اجترحه الأستاذ خالد بمفرده ... وسيفاقبل هذا الصنيع بالشكر والتقدير والاطراء .

٥ - القومية والانسانية : في شعر المهجر الجنوبي

في عام ١٩٦٤ قدمت الادبية التابعة عزيزة مرشد رسالة الى جامعة

الناشره عنوانها « القوميه والانسانيه : في شمس المهجر الجنوبي »
فكان بهذه الدراسة درجة الماجستير بتقدير اللجنة الخاصة .

وفي ربيع عام ١٩٧٣م أعدت هذه الباحثة الوافدة رسالة الى جامعة القاهرة متونها « القصة في الشعر العربي المعاصر » فاحترزت بالترضا
التليسي هذا الدكتوراه مع مرتبة الشرف الاولى .

فايأت الاسماء الادبية الرائجة في مصر وسورية ولبنان والاردن
موسومة « القومية والانسانية : في شعر المهجر الجنوبي » بالاسماء
والتعديرات وانتت على الجهد الذي بذلته الاستاذة مريد في تصنيفهذه
المهجرة الشعرية التي تتألف من ٧٧ صفحة من القطع الكبير وتتبلل
على خمسة فصول مطولة . وقد تناولت في الفصل الاول « البيئية
الجغرافية والادبية في المهجر الجنوبي » وجاءت فيه على تاريخ قصة
الهجرة العربية وروايتها واسماها الى العالم الجديد . وفي الفصل
الثاني تناولت « الوطنية في شعر المهجر الجنوبي » وصورت الواوامج
التي تركها نادر المهجرة في نفوس الشعراء من حين الى اوقاهم وديارهم
ولمعة الى والديهم واحبايهم . الى نذكر ايام الطفولة فسي مدارج
صياهم . وفي الفصل الثالث صورت الاستاذة مريد « انتمز القومي »
والانتفاضات العربية في منظوم الشعراء العرب في المهجر الجنوبي
وانما فهم في دعم الحركات القومية وتأييد الفلاح العربي ضدالاستعمار
الغشوم . وفي الفصل الرابع تناولت الاستاذة مريد في باسهاب
« الانسانية في شعر المهجر الجنوبي » وتيسقت في تصوير ايمانها
وجوانها . وفي الفصل الخامس تحدثت عن « الفضائل الفنية لشعر
القومية العربية » وجاءت في هذا الفصل جولات مطولة وصورتالصدق
في التعبير والتصوير الفني الحر في الصورة والمطالبع المعاصرة
الجبيلة .

هذا تعريف خاطف بالقيمة المهيبة التي فيها الكاتبة الباردة
الاستاذة مريد لظفانة الادبية العربية وبقا لتتألقون اثرها القليسي
« القصة في الشعر العربي المعاصر » بفارغ الصبر .

٦ - مذهب الموحدين

شتمنا كسر صديقي الباحث الكبير الاسلام عبد الله الفخار الجليل من
كتابه المفلول « مذهب المذول والوحيد » ولئن له بالفروج الى عالم
النور وزفه الى فراة العربية في طبعته الاولى كتبت لسيدته القول :

« كشفت يا صديقي للناس الكفاف من مادية مذهب سجع يتر على
كل عربي ان يتطير في قلعه ، وتسجع حوله الاساطير . ولقد ايت
عليك مؤلفك الموهوب الا ان تجلو الرغوة عن هذا المذهب الموهور ،
فتؤرخ له ، وتكشف للقراري ، هربا كان او غربا ، عن اصوله ،
فاصطبقت على الكتبة العربية سفرا جبلا ، واسديت للمذهب المذوي
الصحيح خدمات منها :

١ - انكشف عن جوهره الصافي » ٢ - هدم ما حاكه الغشوم
ويطش المستشرقين الغربيين حوله من روايات ملقطة واسانيد خاطفة
وافتراءات رخيصة . فلوذ القول التبرير في العالم العربي بقرون
عكس ، ويمجدون لراسلانة التي ادبنا لامتك في صمد واخلاص ١ ٥٠
واستكمالا لهذا الموضوع الغريب صورة واطارا اعاد العلامة التجار
طبع كتابه باسم جديد هو « مذهب الموحدين : المذوز » فيباب في طعة
موسعة منقحة وصارح اخوانا عبد الله التستال من أجل بيته وخارجيه
يقولوه :

« ... ومن اولي من اصحاب البيت بتبليغ نداء التلم ، وفتح
الباب على صديقه ، ولو كره المظتمون خلف جدرانهم ، ففي ذلك تحقيق
لرغبة المستمعين ، ومطعمهم من ايامهم هذا المذهب نفسه . فلف ساتني
العند العديد منهم عما اتوى عليه ، وما نسب اليه ، وما الفاتنة من
الانتماء الى ملة دون الاعتزاز بها ، كمن يحمل اسما لا معنى له ؟ وكيف

يدين اثره بالولاد لما مجهول ؟ او يعجب ما لا يعرف ؟ كلاين الذي يطلب
مته ان يعجب والده لا يعرفه !

ما اكثر ما جر الكتمان على اصحابها من اجترار والفراد ، وتعبوه
وتشويه . وهو الجواز العمل ان ترك لسوء الكشف عما اتوى عليه ،
ولم يلبس التصحيح ما اهم به وسند اليه ، في فوضى اخلاط الفت
بالصين ، والناظر بالفرقي ، واستسلام الاخلاط لسفاه ، دون تعحيص
او استنقاذ » ٢ .

لو كنت امك جائرة ادبية شهيرة كما يملك سعيد مقبل مثلا ،
لوجهت جائزة هذه ، بلا جلبة ولا ضوضاء ، الى سيادة الاسناد الكبير
عبد الله التجار ، تقديرا لكتابه المجلد الذي صور فيه مديحا سمحا
ظهورا ، واصاف فيه التمام من جواهر فكت في القولة زمنا طويلا ...
حتى جاء هذا الحكيم البصير فيلما بقلعه الصمد منها وقال للناس :
« دوتكم هذه الجواهر ... فلووا وتعلوا من وجهها ! » فولف الناس
ميجورين واتزالوا القدي من مينهم وكموا من برقي تلك الجواهر اهل
ليقبل سيادة الصديق التتيرل الاستاذ عبد الله التجار شكر اهل
القلع على هذه الممد الوعاجة التي لدمها لؤاخوته بتواضعه السدي
مرفهانه من أبرز صفاته ، وهي صفات تولدت في العالم المتظامن النسي
الرفيع الطلق !

٧ - الروفي

درج المشار الكبير الاستاذ محمد المندائي طسي نشر مجموعة من
مؤاوتيه باسم « المندائيات » واختار لكل ديوان منها اسما يدل على
ذوق شاعرنا ورهافة حسه . واخر ما سطحا به فلم المندائي في دولة
الشعر ديوان اطلق عليه اسم « الروفي » وهو الخامس من سلسلة
« المندائيات » وقد اشتهل على الواع جديدة ضمن الشعر المندائي
بالرشارة والحكمة والاخواتيات والتحكم ، ولو طابقي القاري ، الاطاحة
على نموذج من شعر هذا المندايان الحاطل بالطرالف والباسطات لاخترت
له دعاية شعرية أرسلها المندائي الى صديقه العالم الدكتور لسديري
طوفان وقد مده لها بقوله :

« ... وهو في عصر القامة آية ، وفي القبح لاية ، وفي الظرف
والاذلال لا نهاية ، والقصيدية الآتية نغمتها في ليلة سر تبابس :

اهتت ليلة القدر
اهذا وهجك البادي
هجرت الشعر من حين
وكان القصيد قد رُود
لهفني القلب من بحر
ولكن يصلمنا اسسى
شهرن البحر في وجهي
فلمن انظم بصحوا
فما لي صفت مفتونكما
فهملت اصبحت شجائتي
فتوحني بما شقيق الروح
فاتت البحر في صمد
واقت القلب يا (فدي)
واتت الصنن ، فالصنبا
ولولا خدك المذوي
وطسي الشعر باكل النسي
وهذا الجيد لمن عرفه
فصحبان الذي اطاحه

البيدي المائم

عنان - الآذن

مجلة الهدى في سفر



لقاء مع الشاعر المهاجر جورج صيدح

على بعد كبير ، وإبعاد ضاربة في التيه ، استجاب الشاعر المهاجر جورج صيدح لي في اللقاء معه ، على صفحات هذه المجلة ، والتي وإن كنت أريد أن أجلس معه جنباً إلى جنب ، وأحاذله شفاهاً ، إلى التسي والحق يقال : قد قضيت معه هذا الشطر من الحديث وكأنني أحاذله وهو يسمع إلي ، أعلى وهو يهيب ، كما لو كنت بجلبه ، أجلس معه إلى مائدة واحدة .

والواقع أن جورج صيدح الذي يرفع شيخوخته الآن بالمتنقيات والرحلات ، بعد ما طلق الشعر ثلاثاً ، إلا ما كان يعتش فيه من أحيات تتدفق بين يديه ، وبأبي الأنتشار والفروج على القسم وتنصبني القسم به ، يستجيب ، بالرغم من لواءه بالصمت ، إلى الإجابة في حياته ، ونيتي ضاميه ، ويعرض ما من له ، أو وقع فيه ... والشاعر العظيم الذي ملا الدنيا نربداً ، وأسمه في دراسة الفلسفة والآداب ، لا يحب التوازي ، أو إخفاء فجوة في حياته ، تعدد لمة في ميون الشائنين أو الراصدين لحاكي الآخرين . وإنما يهيم أن يعرض نفسه بما فيها من خير ورش ، وحلو ومر ، ليكون ملا قدوة ونبراساً ، ورسولاً ، يعتني به الساترون في دنيا الآداب ، والفناريون في صحراء الفكر ، والتالون في بيضاء القرى على وجه أخصي ... فصية جورج صيدح ورفاهه من المهاجرين الأولين . ترسم خطوطاً عربية في السفق الدراسة الأدبية الجادة ، وتبين على قطع طريق الحياة الشائكة التي يبلها هؤلاء المهاجرون في بلاد الغربة ، يوم أن كانت هذه الدبلنات ضرباً من الضلال ، والعيش في انتفاها نوعاً من المحال ...

منى بدأت نشر شعري وفي أي المجالات أو دوريات ؟
- بدأت نشر شعري في جريدة .. الأطلال الصغير عام ١٩١٠ ، إذ كنت قد دفعت قصيدتين : الأولى بعنوان : « الزكري » ، لحننت ولنفاها الطريون ، وثالث الاستساح على كل مكان لحيت اليه وفقداد ، وأعتقد أنها تال استساحاً آتت واستساح كل من يقرأها اليوم ، لأنها تال استساحي كما أنها تلوها ، أو شرت على أيتها يسين فصباتي التي أجمعها من هنا وهناك ، وإن كانت ناي المتساح ،

وتصر على السفر إلى الطار الأرضي في مكاتب المحيين والقديين : الزكري والذكري الحبب مسمي ، والذكري ما سر في تلك السنين الذكري والساسي فليك كسم نسحق التكري غلوب الماعشين . أما القصيدة الثانية ، فكانت بعنوان : « فرام » ، وهي قصيدة إذا طالعها من لا يعرفني ، يعتقد أنني كنت رجلاً ولها ، تركته حببته ، فنام من هذا الترك ، وأصبحت جوارحه تشكو هذا الفرام ، حتى أمس له الفتة على ، نالم وتشكو في كل مكان من حببه . أصبحت من جود الصدود تغالتي شيباً إذا سر التسيم تالسا تشكو الفرام جوارحي فكان لي في كل جارية فؤاداً مفروا على أنني كنت أتقم شعري بالسجية ، فلا أهد تليد أحد ، وإن كنت قد تارت بشعر شولي أولا ، وشعر ألياً أبي ماضي تالسيا ، ولا أتمك الحق إذا قلت لك : أنني كنت وأنا بعد تليد في المدرسة أحفظ قصائد المتنبي دون أن أفهمها ، أجرد شغفي بموسيقاها ، فلما سمعت مداركي وازداد أهالي على الشعر ، ورحلت إلى مصر ، أنصرف أجماني إلى شعراء الرقة والمطوبة والبساطة والمجون كابي نواس ، وابن الرومي

من القدامى ، وإسماعيل صبري ، وحفسي ناصف وطابوس عيده من الماصرين .
ولقد أتبع الألق أماني في مصر ، ووجدت بيئة صالحة لتشر إنتاجي ، ولا سيما مجلة « سركيس » التي لا تكساد مجموعة من مجموعاتها نخلو من قصيدة لي وإن كنت منحرفاً إلى تجارتي بكل فواري ، لا حياء لها أو ابتداء الثراء بل حفظاً لكرامتي بين أهلي وعشيتي الذين نالوا بخافون علي من ضربات الزمن ، وكساد التجارة ، فأودع اليهم مثقلاً بأنواع الهوم ، وأحامل الديون .

والواقع أن الأب « سارلوت » الذي خلف الأب « ساليانج » على رئاسة « منظرة » كان يوصيني بتأدية دراستي إلى درجة الدكتوراه ، وكتب إلى أهلي راجياً منهم قبول طيب بدراسة الحقوق قبل ولوج ميدان التجارة ، فلم يلقوا ، وربيت بفسلي على مفس ، وسرت في هذا الميدان الفصح لا ألوي على شيء ، ولا يعني إلا نجاحي فسي ميداني ، حتى كنت أبخل على نفسي بساعة انقم فيها الشعر أو اطالع فيها كتاباً ، اللهم إلا في فترات المسير من البيت إلى التجر أو في ساعات السفر في القطار ، وإن كان الجو الأدبي ساد مصر فسي تلك العلية قد أتر في ، وتآرت به ، فقرات الكثير ، وطالعت جل ما نشر في الصحف والمجلات والصوريات ثرا وشعرا ..

- قلت : ذلك كنت حرصاً على النجاح في تجارتك ، فكيف الفست ، وكنت أشد حرصاً على الإشارة اليك في ميدان الآداب ، لها هي الأسباب التي جعلت تجارتك تكسد ، وما هي نفسك عندما انتقلت إلى جو غريب عليك في القنات ؟

- كان انتقالي من مصر إلى أوربا : إلى هذا المحيط التسي ، أهدنا لطيف في حياض ورائتي لها حال أحوالي المهاجر الميسن أصادوا لعمهم وسهم وانتقلوا الجنسية الفنزويلية لحياتهم وصالحهم ، حيث لا سارة زرعهم ، ولا داية تعميمهم ، ونظراً لقسمه ضدعمهم وتفرغهم في أثناء الجال لم تتجاوز مسانئهم ومتاجرهم في حسي واحد كما في بقية المهاجر الأمريكية ، لذلك لم يتعارفوا ويتألفوا ، بل تشتتوا فرادى في أحياء الشعب الفنزويلي بل اندمجوا فيه ، وأندادوا الكلام بلسانه ، حتى لقل عليهم اللسان العربي ، وأصبحت الفلسفة الإسبانية الحديث في كل شؤونهم داخل بيوتهم ...

وصيبي أنقول لك أن هذه الظاهرة قد صدمتني في عاطفتي وفي أماني . إذ شعرت ببقاوة الغربة ، وفداحة التصحية التي فرست علي .. فلي سر فتحت مجلة « سركيس » صدرها لفصائدي ووصلتني بطلاقة من الأدباء الكبار :

مطران ، أنطون الجليل ، بركات ، الدكتور محبوب ثابت ، أحمد زكي باشا الذي كان يجلس في منزله لاستقبال الأدباء بعد الفرام من عمله ، كما كان يتاح في التائب بالاطاعة ساعات الليل ، وهذا العصر الذي أفضيته في القاهرة ، كان مصر ازدهار الآداب العربي في مصر ، بلغ فيه الشعر أوج مجده ، وراحت سوق مكانه دواجا فريداً ، فكتبت أحفر حقلية لتكرسم شوقي ومعلقة لتكريم حافظ وأخري لمطران أو الريحاني ...

ولقد دليت مرة إلى الله القصيدة في إحدى تلك الفسيلات ، وشعرت باتي لو عقلت لأوجدت نفسي حبشية أدبية في ذلك المجتمع الرائي ، ولكن مع الأسف كان طيش الصيا مسيراً علي ، وكان أفراد اللذات أشد وألوي من تلك الحوافر الأدبية ، فاخضت شاعراً كما أخضت تاجراً !!

في « الجزيرة » أثار لمرديني ، وفي « الجزيرة » أصداء لتشادي الزهر في « القلعة » الخضراء منكز ، وأبعد في القبة الزرقاء لفرادي وصاحبي : جمال جالع وهسوي . صاد قد التقياً في الرشي ويماد

الاسم المطلوب ، اعلمته بكل شجاعة والفرحة بكل احترام على شمعراء
الوجه الجديدة الذين انتشروا في كل أرجاء الأرض ، و لا هم لهم الا
الدعوة لهذا الشعر ، وبت التعاليم لامتلاك مذهبهم في كل مكان ..

ولا ريب في ان الذين يخالون هذا الشعر ، ويعنون بتصميم
الشعر القديم ، ويردون بوقائده وقوائله ، لا يلق بسم ان
يطلقوا كلامهم على لفظة « شعر » بل على انهم ، ان يطلقوه على هذه
الكلمة مقبولة فيقال « الرثى الحر » واختر كذلك كلمة « منظوم »
وان شاوروا الصنفين فلتكن « باشمنظوم » او على الطريقة الفرنسية
« سور اوم » .

— ما هي حكاية دواويك الثلاثة : التوافل — التنبساط — حكاية
مفترب ؟ ؟ ؟

— كنت في « كراسي » أصلي أشغالي التجارية ، وأحول كل
نشاطي الى خدمة القضايا الوطنية منذ ابتداء الحرب العالمية الثانية،
وان كنت لم أكن الاشتغال بالآداب ، فقد كان في مكتبي ملف شخصي
يرافقني منذ عهد الدراسة اجمع فيه فصاصات القصائد التي انقلها
واسعاها ، مجتمعي اقدم على الانكاف على حياته واخراجها على أحسب
وأريد ، فالتفت الى شرف يد هذا العمل الذي بكل سقاء ، ونمت
على حير ، ولكن انقرف طال الى منتصف عام ١٩٢٧ ، ودنا موعد سفر
من فنزويلا الى الأرجنتين .

ولا وصلت بوينس آيرس في خريف ذلك العام ، كان المصنوع
مطبوعا ومعدا للتوليد في ماتي صخرة من الورق الرخيص والطبع
السيئ ، وكانت اللطالط الطبيعية التي ارتبكها الناشر ، افساد الخطأ
القلوب التي ارتبكها وانكى من ذلك طبع محتويات الملف كلها دون
فرقة ولا حاية بالاختيار ، مما اطلق على مهام النقاد ، وبإرفاق من
تأبلة القرى القصود من نشر هذا الديوان .

اما « التنبساط » فهو عبارة عن كمان ولانين قصيدة ، صدرت في
حالة طفيفة لظفانها موزونة بشيئة رسوم ، واذا كانت الاختلاف قد فلتت
على الديوان ، وجعلته اثرًا غير صالح للقراءة ، ولكني كنت قد اعلنت
عن مبهورة « وجبات الاصحاب » بعداها منه ، فاختلت اصوب الاختفاء
ببني في كل نسخة قبل ان اهديها ، واكرس ساعتين في اليوم لتصحيح
اربع نسخ حتى بلغ ما صححته واهديته ثلثي نسخة ، لم فراني الكل ،
وتدعت على هذا العمل في ديوان ليبيع مشوه لا يلقى بيهدي ولا بالهدى
اليه ، فالتفت ما بقي من النسخ ، ونرجمت على المال وعلى الجسود
والآصال .

على ان « حكاية مفترب » ، كانت نتيجة الصديقين اللتين اصابتني
في « التوافل » و « التنبساط » ورتكنتي بلا سلاح ادافع به عن نفسي
على صعيد الشعر ..

والواقع ، ان الصديق الاستاذ يوسف الخال ، افتمني بانني لن
افق على قصي ، وانتصف لنفسي الا اذا اصدرت ديوانا جامعا يمكنني
بشكله ومضمونه ، ودفعت به الى الاسواق حتى يعرض للبيع فسي
الكتبات ، ويرى القراء للمرة الاولى ديوانا يحمل اسمي ، فادركت
وجهة رايه ، ولكنني اختارت لظروف حياتي التي تضطرني لشغل امر
باريس بعد شعر ، فلا اشراف على طبع الديوان ، واتبرق لفساد ثلاثة
اذا طبع الديوان في غيبيتي ، فكان جوابه مطحبا ، نقل الى نفسي لفته
بنفسه ، لا اراني نماذج الطبعات ومعدات الطبع وامكانيات العمل
في دار مجلة « شعر » واخذ على نفسه مسئولية التصحيح ، متعهدا
بالا يقع في الديوان خطأ مطبعي واحد ..

ولقد وضعت في هذا الديوان خمسين قصيدة ، واصفت لثمانين
قصيدة قديمة اخترتها من ديواني : « التوافل » و « التنبساط » ، فكان
نماذج من منظومي في مختلف مراحل العمر ..

— هل تسمح الاديب اليوم بان يفتح بالقديم ويسير على نهج
الادعين في النظم والمقثور ؟

اما اخفاي في تجارتي ، فيرجع الى اني دخلت اليها باجندة
متكسرة ، لا تكاد تحملني على التحديق في سموات الفن والصور ،
واحقن ما كنت اسير اليه على الرغم من التي صرفت وقتي كله اليها ،
ولم اكن على القهقار الى التجرب يوم واحد ، حتى احقق ما عقدت
العزم عليه ، وما اوصاني به اهلي من عدم القرب ، واليد من غريبات
القاهرة ، وفاتت التبل ، الا انني بقدر ما خسرت في هذه التجارة ،
بقدر ما كسبت من الاسعاف والمعارف ، ويندر ما تسلمت بهذا السلاح
الذكري الذي اذود به عن نفسي الان وانا في شيقوختي ، وسيسري
حتيثا مع الأيام ..

— ما رايك في الشعر بعمامة بعد اقامته في باريس ، هل يستطيع
ان يكمل نفسه ام يكمل الشعر الفرنسي ؟

— الشعر المعاصر اجمالا ، فيه الاصيل والدخيل ، وفيه القديم
والحديث ، وفيه النظامي والانسوي ، وانا لا استطيع الجواب على
هذا السؤال ما لم اسمع الشعر الكلاسيكي المعاصر عن الشعر
« البولنديكي » فالشعر الكلاسيكي يستطيع ان يكمل نفسه ، ولا يمت
الى الشعر الفرنسي بآية صلة ما خلا صلة التعارف والتبادل الثقافي ..
واللذات حيوية هذا الشعر في عصر القديم بما اخترته من خيرتومعرفة ،
وبما اكتسبه من مرونة في معاصرة الآخرين من شرة فثرون
ما جعله اليوم كامل الرجولة ، مفعلا التاهيل الواجب لهذا الاستقلال
الدائي ، بل هو مستعد لجأرة هذا العصر في التطور الحضاري الذي
يحيط به العالم اليوم ..

اما الشعر الوجه الجديدة ، فالليل الذي افهمه منه لا يعطيني
حق الحكم عليه اوله ، ولكني ارى ، ان هذا اللون الداعي للفلسفي
المتشكي الى الشعر العربي منذ عهد قريب ، لا يكتمل نفسه بنفسه ،
بل يكمل نفسه بعامر فريية تتداخل فيه ، ولا يكمل الشعر الفرنسي
الذي يستغنى منه ولا يتأثر به وان كان يؤثر فيه .

على ان من الجائز في مقابل الأيام ، اذا بلغ الرشد ، واستوى
على جادة الشعر ان يفرص معبره بنفسه ، وفي هذه الحالة — لحظة
استعداد موده ، يكون بين عالمين لا ثالث لهما ، اما ان يتشكى للظن
العربية الاسيلة ويرني في احضان القرب واما ان يتزع الوصاية عن
عقله ويعود الى ساحة الفصاد الفسيحة ، ويمشي في بلاد العروسة
ويتنسم عبيرها في شوق ، بعد طول اقتراب والتأني ..

— ما هي المشروعات الادبية التي تلوي في الوقت المعاصر القيام
بها ، او قمت بها فلا ولكن لم تظهر الى الوجود ؟

— المشروعات كثيرة ، ويتضمن عزم الشباب لانجازها ، وان كسان
اهم ما يشغلني اليوم ، العثور على اسم ملائم لهذا النوع من الاداء
المستحدث الذي يسمونه خطأ « الشعر الحر » ، ومتى وفقت الى

صدر حديثا

محاجر في الكهوف

الرحلة الثالثة

مجموعة شعرية

ثريا ملخص

حجم كبير

١٦ صفحة

توزيع دار الكتاب اللبناني في بيروت

مجلة الاديب

ومجلة - الاديب - التي يصدرها اليبر كانت وما زالت منذ سنة وعشرين عاما مدرسة كبرى لاعداد وتخريج الكتاب والتمراء .

لقد عانى اليبر ادب اعطاء الصحافة والادب وحمل بين يديه وعلى كتفيه طوال تلك المدة متعبا كثيرة . ولا شك انه لاسر صبير ان يصابر ادب لوحده في ميدان الادب كل تلك السنوات .. رغم كل الاعباء .

فالير ادب يصدر وحده تلك المجلة التي ما ان تنصهجا حتى تصور ان هناك هيئة كبرى تتولى اصدارها .. ولكن « ادب » وحده في عمله .. بل لم يتخذ للمجلة مكتباً خاصاً ، لقد اتفقت بفرقة خاصة في بيته لتكون مكتب المجلة . وفي بيته .. في بيروت ، وفي الفرقة المخصصة لاعداد المجلة كان لي لقاء مع اليبر ادب .. وكانت لفضاء الادب والصحافة محور حديثنا .

التسمر الحديث

حدث الاستاذ اليبر فيما تحدث عن التسمر الحديث غير التقليدي المتمثل في التسمر اللقي والشعر الحر والقصيدة النثرية فقلنا :

لا شك ان ذلك التجديد في هذا اللون من الشعر يعود الى سنة التطور ، ومن المؤسف ان اكثر النقاد يحكمون سلفاً على هذا الشعر سواء منهم المؤيد او المهاجم ، مع ان المستقبل وحده هو المكفل في تقييم هذه الألوان من الشعر الحديث ، الا انه من المؤكد ان كل تجديد سواء اخلق ام نتج هو دليل على التطور والحيوية وان كل جمود هو تلف .

مستوى التسمر

وبالنسبة الى رايه بمستوى الشعر العربي الحديث بعد ان ظهر الى الوجود واصبح حقيقة واقعة ، فقال :

هذا سؤال وجيه ، فلا شك ان الشعر الحديث كاي لون من ألوان الادب يساهم فيه موهوبون ودخلاء .. والاتصال والاجادة والابداع هي المقاييس التي يجب ان تحكم بموجبها على النتائج ، لسير ان المؤسف ان ترى كثرة المتطاولين على هذا اللون الادبي فلما منهم ان التحرر من الوزن والقافية بمعناه ان يوسع أي كان ان يكتب على هواه باعتباره شعراً . واخذت الصحف تنشر انتاج الماشل مما اساء الى النتائج الاصيل ، ولكن من اليديهي اننا نستطيع بعد التضييق فريضة ما نقرأ .. والاتصال والابداع والاجادة هي التي تخلق النتيجة سواء

لا يمكن ان اطب من ادب اليوم ، ان يقتنع بتقليد البستاني ، والمتروني ، واليازجي ، ويتفاني في الفتاحة ، ولكن احبب كل ادب على ان يقف في رسالة الادب دون انصراف الى نزعة او شهرة ، او استمجال الى لطف التماز ، وهي لم تنضج بعد ..

وانا ادعو الى الثورة على الكسل والتفاحة والارتجال والطلاقة والانانية والمنهجية والاقليمية الضيقة التي تفكك جرائعها بديتها ، وتعليه عودا يابسا ، لا روح فيه ولا حياة ..

الاحظ فيه التمايلات الشباب والتفاهة ، وحرصه على حياة المجلد في كل منحنى من مناحيها ؟

ومن قال انني عجوز .. ان حياتي كلها شباب وقوة والتدافع ومطاردات ومن يعيش في ظل هذا التنقل ، ويشغف بالرحلات ، لا تصيبه الشيفوخة ابداً ، وان بدت على جسده ، فلا يمكن ان ينعو على ادبه وعواطفه ونشاطه وشعوره .

ان ، لك مزاج ومغدي في العواطف ؟

الختلف مرارا في هذا الميدان ، الى ان اسفطني صديقي جورجى حداد في واقعة من الوقائع ، فظلم ملحمة واقعة ، هي بين يدي القراء ليعلموا التي دخلت كل ميدان ، واصابني التراجع بقدر ما اصابني الفشل ، وان كنت احمد الله على بقايا قلبي الذي ينشئ اليوم ، بما كنت اقول اليه بالاسى واجري ورايه وانا اخضر الصعود ، غلى الاطباء ، احب الجمال واسمى اليه .

اي عين مسرورة اي عين

فجسا السوم وراي الوردين

مفرح حاول تكان الهوى

فادامت دعوى الناطرين

أرد غلى الصبا ، غلى المني

ماجد الاصل ، كرمس التبعين .

فلنته ذات باهر

اوشكت لتني زهر المونتين .

القاهرة

ابو طالب زين

« الجمهورية » مع رائد الشعر الطلق

خلال السنة والعشرين عاما الماضية صدرت مئات الصحف والمجلات الادبية في الوطن العربي ، توارى معظمها عن افلاك القراء ، ولم تكتب في هذا الميدان الا مقالات معدودات .. فمئات الادباء والمصاحفة مائة ثقيلة قل ان يستطيع احد تحمل ايمانها مدة طويلة من الزمن . وقصة الادب العربي اليبر ادب صاحب مجلة « الاديب » البربرية قصة فريدة في ذاتها .

لقد تابر هذا الادب من اجل ان يعجل من مجلته نموذجاً فريداً في نوعه ، اذ واصل اصدارها منذ عام ١٩٤٤ حتى اليوم ، واتخذ لها خطة تكاد تكون ثابتة رغم مضي هذه المدة غير القصيرة في الوقت الذي ألفنا فيه تغير موالف واشكال ومضامين كثير من الصحف . والير ادب هذا يعتبر بحق رائد الشعر الطلق في المدرسة الشعرية الحديثة ولد نهج نهج كثير من شعراء الطليعة ، عرف بموهبته البديعة وعطائه الجسم .

له مجموعة شديدة بعنوان « سن ؟ » هي تعبير عن تجارب عاش بعض جواندها وصور اليأس الآخر يلقفه وقلبه ، وهي مثال صادق لواقع الحياة العربية .. فيها من الصعود ما نؤم الكشاور .. كلماتها ذات معنى شتي .. افكارها .. افكار شباب خضراء .. وعواطف من صنع فعل الربيع .

من سلسلة التارون العرب في التاريخ

صمغ

علي ناصر الدين

صاحب قلبية الصرب

الملك سيف بن ذي يزن

ابو ذر الغفاري

جمعة ايقية تاتيسة

ادبنا والعالم

وعن مستوى حركة الشعر العربي الحديث نسبة الى الشعر العالمي قال :

لا شك ان الشعر العربي الحديث بدأ يأخذ طريقه الى خارج عالمنا العربي ، وقبل ذلك كان من النادر جدا ان يترجم الشعر العربي الى لغات اجنبية ، ويعود ذلك الى ان الشعر الكلاسيكي عند ترجمه من الوزن والقافية الى وزن موسيقي ، يفقد كثيرا ويصبح اذا ترجم لا رونق فيه ، ومن المعلوم ان الشعر الحديث اصبح يعتمد الآن على الفكرة والوضوح اثر عن اعتماد على وحدة القصيدة مما يجعل ترجمته ممكنة وذات معنى . لذا فقد ترجم كثير من الشعر العربي الحديث الى عدة لغات .. ولو شئنا تقييم الشعر الحديث بالنسبة الى الشعر العالمي فيجب الاعتراف اننا لم نبلغ القمة بعد ، وان بلغنا تقديما محسوسا .

الصحافة الادبية

بعد هذا عدت مع الاستاذ البير للحديث عن الصحافة الادبية فكان سوالي :

هل تعتقد ان الصحافة الادبية في الوطن العربي قد اذت الدور الملقى على عاتقها في هذه المرحلة من تاريخنا ؟ فقال : لا شك في انها ساهمت اسهاما كبيرا في تحقيق ذلك ، وان لم تكن قد حقته كاملا ، ويعود ذلك الى ظروف عدة منها الصعوبات المالية .

وهنا تحدث عن الصعوبات التي تواجه مجلته فقال :

من مدام الصحافة المالية هو الاعلان الذي يدخل دخلا يساعد الصحفية على الاستمرار في الصدور ، وتمامي المجلات الادبية - بصورة عامة - لا اذع في هذا الباب اذ ان المعلنين يعرضون عنها ، فتفسد المجلات الادبية الى الاستمرار على البيع والاشتراكات والاعانات الحكومية وهذه الأخيرة مقلوبة مثلا في لبنان - مع الاسف - مما يجعل المجلات الادبية تعاني من أزمة مالية .

وعن الاسس التي يراعيها عند نشره موضوعا ادبيا في مجلته قال : الاساس الذي نعتنقه هو الاجادة ، وان كنا نتسامح احيانا في حالة ايجاننا يادرا تمل على استعداد ابداعي .. ولا ننظر الى الاسماء اطلاقا ، فكثيرا ما نشر لقوميين ويكون ذلك نتاجهم الاول وهكذا عرفنا « الادب » دائما ، فكم من شاعر او قاص بدأ في « الادب » واصبح فيما بعد من المعروفين .

الشعر الطليق

قلت بعد هذا للاستاذ ادب :

يصنفك من كتب الشعر الملق ، فمتى كتبت هذا اللون من الشعر ؟ فقال :

يتمتع الشعر الطليق بكل مزايا الشعر من حيث اللوحة والموسيقى والاتقان الداخلي واللفظ الشعري ، وقد نشرت هذا اللون في عمر في صحيفة « السياسة الاسبوعية » وفي « الرقيب » وفي غيرها منذ عام ١٩٦٧ ، وقد اصطلت نشره في لبنان في مجلاتها المختلفة لا سيما مجلة « العربي » كما نشرت في « الادب » مجموعة غسيرة قليلة منه .

بعد ذلك ، وفي الغمام طيت منه ان يقول لفته لشباب فقال : ادعو الشباب ان لا يستعجلوا النشر وان يكونوا مطلقين نحو انفسهم ومجتهدون فيما يكتبون سيما ونحن في عصر تخصص علمي ، فلا بد ازاء هذا من الاعلاخ على الكثير في شتى شؤون المعرفة .

جريدة « الجمهورية » - بغداد هادي نعمان الهيتي

كانت كلاسيكية ام حديثة ... فلما قد اعجب بقصيدة تنويف فيها مثل تلك الشروط كتبت قبل الف عام وقد لا اعجب بقصيدة حديثة .. وان العكس ممكن ايضا .

بني ان تعرف اخي القاريه بان الشعر الطليق الذي يعتبر البير ادب رائده هو غير الشعر المتنور الذي كان جبران جبران رائده .

ادب الصراخ

وسألت البير ادب ..

نشرت « الادب » منذ صدورها وما تزال ، التناجات الادبية لاديب عراقيين فما هو رأيك في الادب العراقي من خلال ما ينشر في «الادب» فقال :

هذا صحيح ، فقد كانت غايته من اصدار الادب ان اجعل منها بالدرجة الاولى مجلة عربية جامعة غير القليلة ففتحت ابوابها لكل كاتب عربي من الخليج الى المحيط ، وكانت هذه المحاولة غير مألوفة في مجلاتنا الثقافية وكان نصيب العراق كبيرا في تلك المساهمة ، ذلك ان لهفة ادبية كان يتأجج بها العراق ، لا سيما هؤلاء الشباب الشعراء والقصائمين الطليعيين . ولا اريد هنا ان اذكر اسماءهم ، فالكثيرون يعرفونهم ، اما في الحقبة الحالية فاني اشعر ان في العراق فتورا ان لم اقل ركودا ، ولعل ذلك يعود الى الظروف التي مر بها العراق ، لكن بوابات الامل ما زالت تلعب من خلال ما يصنعي مسمن نتاجات الشباب .

دار القصص العربية

لقد ، في مكتبتي بحلب ، نماذج من مؤلفات لشعر كتاب للقصص والرواية والمسرحية في العالم العربي :

اولاد حارثا	نجيب محفوظ
ام الفطير	محفوظ عبد الغال فائم
الوزير سالم	الفرد فرج
كلاية العار الكبيرة	محمد ديب
عدالة السماء	ناجية نامر
ارضي بلا مطر	ابراهيم الناصر
الحقة السوداء	شاكى خضيبك
مع الايام	ناجي جواد
رماد الليل	عاصم رشيد السامري
اسمايتا التي تعترق	سهيل ادريس
فارس انما	مارون عويد
طوبى لابلول	العلي نصر الله
ياسمة بين النعوم	عبد السلام الجبيلي
وداعا يا افاميا	شكيب الجابري
ثم ازهر الحزن	فانسل السباعي

ويسر الدار ان تقدم مع الكتاب العرب او ناشرهم صلات مباشرة لتوزيع منشوراتهم في الجمهورية العربية السورية .

الرواسية مع

دار القصص العربية

حلب ، سورية ، شارع اسكندرون